شَرْحٌ على مُرادِ المُصَنِّفِ

سَبِيلُ السَّدَادِ

شَرْحُ لُمْعَةِ الاعْتِقَادِ

لِشَيخِ الإسْلَامِ المُوَفَّقِ ابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِيِّ الجَمَاعِيلِيِّ الحَنْبَلِيِّ

تأليفُ الشَّيخ

فَارِس بن فَالِح الخَزْرَجِيّ

Сканировано с CamScanner

سبيل السداد شرح لمعة الاعتقاد

تأليف: فارس فالح الخزرجي

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار النور المبين

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تجزأته في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر

All rights reserved. No part of this book maybe reprinted, reproduced, transmitted, or utilized in any form by any electronic, mechanical, or other means, now known or hereafter invented including photocopying, microfilming, and recording, or in any information storage or retrieval system, without prior permission from the publisher.

Сканировано с CamScanner

شَرْحٌ على مُرادِ المُصَنِّفِ

سَبِيلُ السَّدَادِ

شَرحُ

لُمعَةِ الاعتِقَادِ

لِشيخ الإسلامِ المُوَفّقِ ابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسيّ الجَمَاعيليِّ الحَنْبليِّ

فَارِسُ بنُ فَالِحٍ الخَرْزَجِيُّ

2022

Сканировано с CamScanner

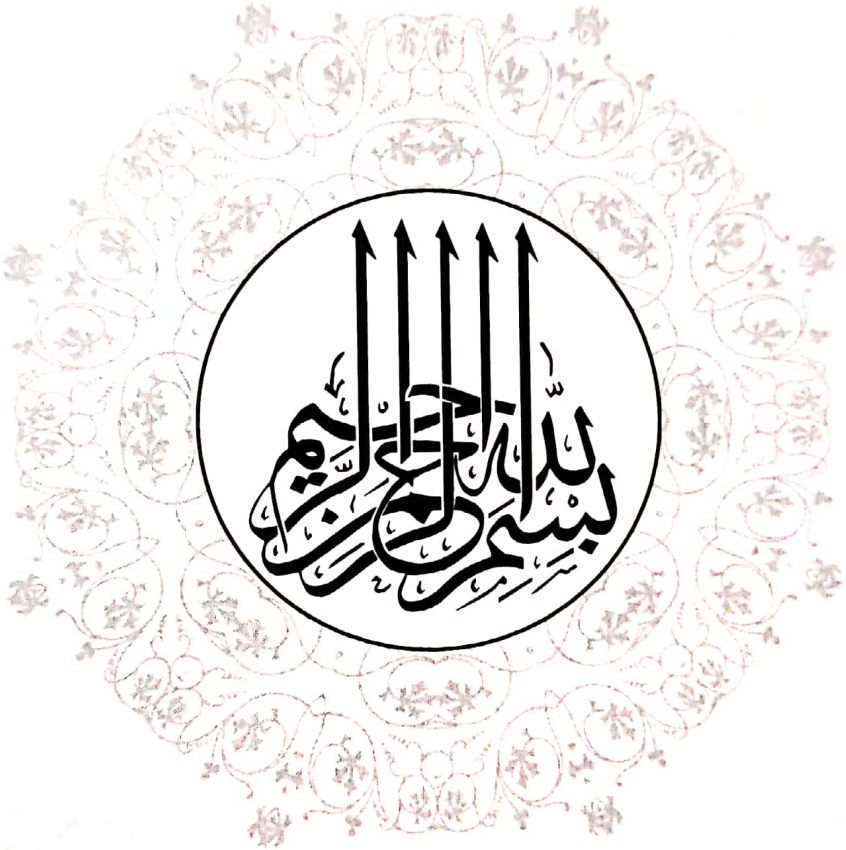

Сканировано с CamScanner

المقدمة

رب يسر وأعن

الحمد لله الذي أنعم فأجزل، وأعطى فأغنى، أحمده سبحانه وتعالى على ما أسبغ من نعم وتفضَّل، ولا حول ولا قوة الا بالله.

أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على هديهم وسلك سبيل السداد إلى يوم المعاد.

أما بعد.

فالحمد لله والشكر الذي أعان ويسر شرح كتاب (لمُعَةُ الاعتِقَادِ الهَادي إلى سَبيلِ الرَّشادِ) لشيخ الإسلام الموفق ابن قدامة المقدسي رحمه الله رحمة واسعة.

وأصل الشرح كان دروسًا مرئية مختصرة، فرغب إليّ كثير من طلبة العلم لتحريره بطريقة أوسع في مصنف ليكون سهل المنال لهم.

ملتزمًا ما قرره إمامنا أحمد رضي الله عنه وتناقله علماء المذهب في ما اعتمدوه في مسائل الاعتقاد.

وأسميته (سَبيلُ السَّدَادِ شَرْحِ لمُعَةِ الاعتِقَادِ الهَادي إلى سَبيلِ الرَّشَادِ).

وقد سبق الشرح مقدمات تعتبر توطئةً لتقرير ما جاء من عقيدة الحنابلة الأثرية.

وستكون مرتبة على النحو التالي:

المقدمة الأولى: مذهب الحنابلة العقدي الأثري وفيه مبحثان:

Сканировано с CamScanner

مبحث: بيان عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه.

ومبحث: تسمية مذهب الحنابلة وكل من انتسب للإمام في عقيدته بالحنبلي الأثري.

المقدمة الثانية: مصنفات الحنابلة العقدية.

المقدمة الثالثة: موقف علماء الحنابلة من علم الكلام وحكمه عندهم.

المقدمة الرابعة: الخلاف العقدي داخل المذهب الحنبلي.

Сканировано с CamScanner

المقدمة الأولى

(مذهب الحنابلة العقدي الأثري)

وفيه مبحثان:

مبحث: بيان عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه

عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه معلومة لدى الامة منذ ما يقارب ثلاثة عشر قرنًا، قد تلقاها عن شيوخه من تابع التابعين وتلقوها عن شيوخهم من التابعين وهم قد تلقوها عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فهي عقيدة مبنية على الكتاب والسنة والأثر، متلقاة باتصال السند[١].

ولم يختلف معتقد الإمام أحمد رضي الله عنه عن باقي الأئمة رحمهم الله رحمة واسعة، فكلهم متبعون للصحابة رضي الله عنهم.

والحقبة الزمنية التي عاشتها الأمة في عصر هارون الرشيد ـ إلى زمن وفاته ـ كانت على قانون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكانت المعتزلة آنذاك تستر مقالتها.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «قال أحمد: فكان بشرٌ متواريًا أيامَ هارون نحوًا من عِشرين سَنة حتى ماتَ هارون، فظهر ودَعا إلى الضَّلالة، وكانَ من المِحنة ما كان»[٢].

وبلغ بالخليفة هارون رحمه الله أن توعدهم بقوله: «بَلغني أن بشرًا المريسي زعم أن

---

(١) ليس المقصود بالاجازة المحررة اليوم المتصلة السند، والمقصود التحمل عن شيوخهم.

(٢) مناقب الإمام أحمد لأبن الجوزي (٤١٦).

Сканировано с CamScanner

القرآن مخلوق، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنّه قِتلةً ما قتلتُها أحدًا قطّ»[١].

وبعد وفاته، أظهر المعتزلة في بغداد القول بخلق القرآن، وحملَ الخليفةُ الناسَ على القول بتلك البدعة وكان موقف الإمام أحمد ﷺ كالتالي:

اولًا: امتنع الإمام أحمد ﷺ عن الخوض أصلًا في هذه المسألة لما كان يقال أمامه ان القرآن مخلوق، فقال: لا أعرف عما تتحدثون، لا اعرف ما هذا.

وهذا إن دل فإنما يدل على اتباع للإمام أحمد للصحابة ﷺ في عدم الخوض في ما لا يعلمون وخاصة إذا كان علمًا محدثًا.

ثانيًا: ثم لما حملوه على القول: أنكر[٢] على الخليفة ووزيره ابن ابي دؤاد ذلك وصرح رحمه الله، وقال مقولته الشهيرة: «كنا نسكت حتى دفعنا على الكلام فتكلمنا»[٣].

ومعنى قوله: أنه كان لا يرد عليهم بداية حتى فتنوا الناس.

أورده ابن عقيل رحمه الله تعالى في سياق الرد على من قال بعدم الاشتغال بالأصول أي العقيدة.

وفي هذه الحقبة برز الإمام أحمد ﷺ عن باقي علماء تلك الحقبة كعلي بن المديني وابن نوح ويحيى بن معين وغيرهم - رحمهم الله - بسبب موقفه وتمسكه بالكتاب والسنة والأثر وتثبيت الله تعالى له فرحمه الله وجميع علماء المسلمين.

وأقوال العلماء في الثناء على ما قام به الإمام أحمد ﷺ في وجه المعتزلة من الثبات وتحمل الأذى متوافرة في مظانّها.

---

(١) المصدر السابق (٤١٧).

(٢) وهذا خلاف ما ينسب للإمام أحمد ﷺ أن منهجه الرضا بكل ما يعمله الحاكم من مخالفة للشريعة وأنه لا يجوز الإنكار على الحكام في ذلك.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٠٤).

Сканировано с CamScanner

مبحث

سبب تسمية كل من انتسب للإمام أحمد ﷺ في عقيدته بالحنبلي الأثري

مناسبة ذكر هذا المبحث هو شبهة مطروحة قديمًا[١] وحديثًا[٢] وهي:

انكار وجود تسمية معتقد الحنابلة، وأنه لا وجود لشيء اسمه معتقد الحنابلة.

وأن من يقول أنا حنبلي في الأصول والفروع لا يصح لأن الإنتساب للأئمة رحمه الله يكون في الفروع حصرًا.

والجواب عن تلك الشبهة:

أن الأصل في الانتساب يكون للنبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وتسمية عقيدة الحنابلة انتسابًا للإمام لم يختص بها عن باقي الأئمة الثلاثة وغيرهم وليس بوجودهم.

بل للموقف الذي وقفه أمام بدعة المعتزلة.

فلو قدِّر في ذاك الزمن وكان المتصدي للمعتزلة أحد الأئمة الثلاثة كأبي حنيفة او مالك أو الشافعي أو غيرهم لكان موقفه موقف الإمام أحمد ﷺ، ونسب إليه الانتساب في المعتقد.

من هنا جاء الانتساب للإمام أحمد في الفروع أي الفقه وفي الأصول أي العقيدة فيسمى حنبليًا أو اثريًا على عقيدة أهل الحديث.

---

(١) قديمًا وهم من خصوم المذهب.

(٢) حديثًا ممن ينسبون أنفسهم للمذهب. وحُملنا على ايراد هذا المبحث لتمييز المذهب عما التبس به ممن يزعم الانتساب له.

Сканировано с CamScanner

ويمكن أن يكون شافعيًا في الفروع أثريًا حنبليًا في الأصول وكذا باقي المنتسبين للأئمة.

وقد نص على ذلك شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله بقوله:

«ما زال كثير من أئمة الطوائف الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وإن كانوا في فروع الشريعة متبعين بعض أئمة المسلمين - ﷺ أجمعين - فإنهم يقولون نحن في الأصول أو في السنة على مذهب أحمد بن حنبل لا يقولون ذلك لاختصاص أحمد بقول لم يقله الأئمة، ولا طعنًا في غيره من الأئمة بمخالفة السنة؛ بل لأنه أظهر من السنة التي اتفقت عليها الأئمة قبله أكثر مما أظهروه فظهر تأثير ذلك لوقوعه وقت الحاجة إليه، وظهور المخالفين للسنة، وقلة أنصار الحق وأعوانه..»[1].

وقال رحمه الله: «والاعتقاد إنما أضيف إلى أحمد لأنه أظهره وبينه عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، حظ أحمد منه كحظ غيره من السلف: معرفته والإيمان به وتبليغه والذب عنه كما قال بعض أكابر الشيوخ الاعتقاد لمالك والشافعي ونحوهما من الأئمة والظهور لأحمد ابن حنبل.

وذلك لأنه كان بعد القرون الثلاثة، لما ظهرت بدعة الجهمية ومحنتهم المشهورة، وأرادوا إظهار مذهب النفاة وتعطيل حقائق الأسماء والصفات، ولبسوا على من لبسوا عليه من الخلفاء ثبت الله الإسلام والسنة بأحمد بن حنبل وغيره من أئمة الدين فظهرت بهم السنة وطفئت بهم نار المحنة، فصاروا علمًا لأهل الإسلام، وأئمة لمن بعده من علماء المسلمين: أهل السنة والجماعة وصار كل منتسب إلى السنة لا بد أن يواليه وإياهم، ويوافقهم في جمل الاعتقاد، إذ كان ذلك اعتقاد أهل الهدى والرشاد، المعتصمين بالكتاب والسنة وإجماع السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان.

إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٩١).

Сканировано с CamScanner

ولهذا كان جمل الاعتقاد الذي يذكره أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة هو قول أحمد وأمثاله من أئمة السنة»[١].

وقال في موضع آخر: «والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة. وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين وطلبا لاتفاق كلمتهم»[٢].

اقتصرت على نقل بعض من أقوال تقي الدين رحمه الله لأن القوم يزعمون انتسابهم له، والواقع غير ذلك تمامًا، لاسيما وأنه عندما يتكلم عن مسألة في العقائد يذكر الحنبلية كمعتقد.

ومن نظر في كتب المذهب العقدية وطبقات علمائه سيجد أنها طافحة بذكر الحنبلية كمعتقد.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٥).

(٢) مجموع الفتاوي (٣/ ٢٢٧).

Сканировано с CamScanner

فصل

(في ذكر من انتسب لمعتقد الحنابلة من أصحاب المذاهب الفقهية[١])

وقد انتسب لمعتقد الإمام أحمد ﷺ كثير من علماء المذاهب الثلاثة وذكر انتسابهم في تراجمهم ومنهم وليس على سبيل الحصر:

أولًا: المذهب الحنفي:

«أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المعروف بابن أبي حجلة، نزيل دمشق ثم القاهرة، شهاب الدين أبو العباس، ولد بزاوية جده بتلمسان سنة خمس وعشرين، واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها، وكان **حنفي المذهب حنبلي المعتقد**، وكان كثير الحط على الاتحادية»[٢].

ثانيًا: المذهب المالكي:

«محمد (المتوكل على الله، المعتصم بالله) بن عبدالله بن إسماعيل بن الشريف الحسني، **المالكي مذهبا الحنبلي اعتقادًا**: من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب، ومن خيار رجالها. وهو أول من اتخذ منهم (مراكش) عاصمة له، وكان في أيام أبيه أميرا عليها، وأصلح كثيرا من مبانيها. وبويع بها بعد وفاة أبيه (سنة ١١٧١ هـ) وكانت الدولة في اضطراب، فقام بالأعباء»[٣].

---

(١) وقد عقد الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد ١/ ٥٧٦) مبحثًا ذكر فيه من كان متمذهبا في الفروع حنبليا في الأصول

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (١/ ٨١).

(٣) الاعلام للزركلي (٦/ ٢٤١).

Сканировано с CamScanner

ثالثًا: المذهب الشافعي:

هو شيخ الشافعية باليمن أبو الخير يحيى بن سالم العمراني ت (٥٥٨هـ)، **كان شافعي الفروع حنبلي الأصول**، له كتاب مشهور في مذهب السلف نصر فيه مقالتهم ورد فيه على الجهمية والأشاعرة»[١].

رابعًا: محمد بن عبدالله الطرابلسي الحلبي، **الشافعي في الفروع الحنبلي في الأصول** ت سنة (٧٧٩هـ). من أصحاب الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ.

خامسًا: إبراهيم بن داود الآمدي ثم الدمشقي، أسلم على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، **شافعي الفروع حنبلي الأصول** ت سنة (٧٩٧هـ).

سادسًا: إسماعيل بن علي البقاعي، **شافعي الفروع حنبلي الأصول** ت (٨٠٦هـ).

سابعًا: أحمد بن عبدالله الناسخ، **الشافعي في الفروع الحنبلي في الأصول** ت (٨١٧هـ).

وغيرهم كثير، ومن نظر في كتب تراجم المذاهب الفقهية للمذاهب الثلاث سيجد أمثلة كما تقدم من ان انتساب العلماء لمذهب الحنابلة العقدي كان سائدًا.

ومصنفات علماء ـ وهم مخالفون للحنابلة ـ الاشاعرة تؤيد ذلك، بل الامام أبو الحسن رحمه الله نفسه قال مقولته الشهيرة أنه منتسب لما عليه أحمد رضي الله عنه من المعتقد.

وقد سمى صاحب شرح العقائد النسفية الحنابلة باسمهم في مخالفتهم للأشاعرة.

حيث قال: «عن كلام الله وهو قديم لا كما زعمت الحنبلية»[٢]. أهـ.

قال البيجوري في شرح جوهرة التوحيد: وقال الحشوية: «وطائفة سمو انفسهم بالحنابلة»[٣].

---

(١) شذرات الذهب (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٢) شروح العقائد النسفية (٤/ ٣٩).

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (٨٣).

Сканировано с CamScanner

والمقام لايتسع لاستقصاء الأمثلة لكثرتها.

وقد لاح بهذا التقرير ثلاثة أمور:

الأول: بيان عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه وانها عقيدة من سبقه من الأئمة وعقيدة الصحابة رضي الله عنهم.

الثاني: بيان وأن تسمية المنتسب للإمام أحمد رضي الله عنه في العقيدة ليس لاختصاص الامام بذلك بل لموقفه.

الثالث: أن الانتساب للإمام أحمد في الأصول أي العقيدة أمر مشروع وهو موجود حقيقة وسار عليها علماء المذهب منذ زمن المتقدمين والى عصر المتأخرين، ولا عبرة بقول من يقول لاوجود لذلك.

Сканировано с CamScanner

المقدمة الثانية

(مصنفات الحنابلة العقدية)

الدارس والمتابع لمذهب الحنابلة العقدي يجده ثريًا بالمصنفات العقدية بداية من الإمام إلى طبقة المتأخرين[١].

ويمكن تقسيم كتب اعتقاد الحنابلة المصنفة إلى أقسام:

١ ـ مصنفات اعتمدت الأثر ولم يدخلها علم الكلام، مثل أصول السنة، والإبانة الصغرى والكبرى لابن بطة ولمعة الاعتقاد.

٢ ـ مصنفات اعتمدت الأثر وادخل عليها بعض المسائل الكلامية في معرض الرد وليس في معرض التأسيس، منها الايضاح، ونهاية المبتدئين، والعين والأثر وغيرها.

ومن مصنفات الإمام التي وصلتنا:

كتاب الرد على الجهمية.

ومنها ما هو منقول عن الإمام مثل

١ـ كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد رضي الله عنه.

٢ ـ أصول السنة رواية عبدوس.

٣ ـ كتاب السنة للإمام الخلال الحنبلي.

٤ ـ المسائل لحرب الكرماني.

---

(١) إلا أن المعاصرين حصروا الاعتناء بكتب محدودة في المذهب وهي لمعة الاعتقاد ولم تكن الشروح وفق مراد المصنف، والسفارينية أيضًا وعليها اعتراضات.

Сканировано с CamScanner

٥ ـ الاعتقاد المنبل لابي الفضل التميمي.

وتصانيف علماء المذهب كثيرة منها منثور ومنها منظوم فمنها:

ـ مختصر المعتمد وهو لأبي يعلى، وهو اختصار لكتاب المعتمد أيضا له.

ـ إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى.

ـ الايضاح في أصول الدين، للعلامة ابن الزاغوني الحنبلي.

ـ جزء في القرآن كلام الله، لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي

ـ جزء العقيدة من كتاب الغُنية للإمام الولي عبد القادر الجيلاني.

ـ نهاية المبتدئين لابن حمدان الحراني الحنبلي.

ـ تحفة الوصول الى علم الأصول لابن المبرد.

ـ قلائد العقيان مختصر نهاية المبتدئين لابن بلبان الحنبلي.

ـ نجاة الخلف لعثمان النجدي.

ـ التبصرة في أصول الدين، لعبد الواحد المقدسي.

ـ المناظرة في القرآن الكريم.

ـ الصراط المستقيم.

ـ لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد، ثلاثتها للموفق ابن قدامة.

ـ أقاويل الثقات، للشيخ مرعي.

ـ السفارينية وشرحها واختصار شرحها.

ـ حائية ابي داود.

ما تقدم ذكره أمثلة وليست على سبيل الحصر.

Сканировано с CamScanner

المقدمة الثالثة

(موقف الحنابلة من علم الكلام)

يعرف علم الكلام بأنه: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة.

وقد نصَّ الإمام أحمد رحمه الله على تحريمه فقال: «من ارتدى بالكلام لم يفلح»[١].

ونص على ذلك في رواية عبدوس.

واختلف القول في مسألة استعمال علم الكلام والتصنيف فيه عند الأصحاب.

قال ابن المبرد رحمه الله:

«اختلف أصحابنا في علم الكلام والمناظرة فيه ووضع الكتب فيه، والرد على المبتدعة هل هو مشروع أم لا؟:

١ ـ فذهب المتقدمون إلى أنه غير مشروع بل هو منهي عنه، واختاره صاحب النظم ونص عليه في رواية المروذي وصالح وأبي عمران الأصبهاني وأبي الحارث وعبدوس بن مالك، واسحق بن منصور وعبدالله بن الامام أحمد.

٢ ـ وذهب القاضي أبو يعلى وشيخه ابن حامد والتميمي والقاضي الصغير إلى أن: علم الكلام مشروع مأمور به، ويجوز مناظرة اهل البدع ووضع الكتب في الرد عليهم»[٢].

استندوا في ذلك إلى قول أحمد في رواية حنبل: قد كنا نأمر بالسكوت فلما دعينا إلى

---

(١) صفة المفتي والمستفتي (٢٢٤). والأداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢١٩).

(٢) تحفة الوصول إلى علم الأصول (٦٠).

Сканировано с CamScanner

أمر ما كان بد لنا أن ندفع ذلك، ونبين من أمره ما ينفي عنه ما قالوه.

وقد ذكر الخلال أن حكم التحريم عند الإمام منسوخ[١].

ثم قال ابن مفلح رحمه الله:

«ووجدت في كتاب لولد ولد القاضي أبي يعلى ذكر فيه خلافا في المذهب وكلام أحمد في ذلك قال: والصحيح من المذهب أن علم الكلام مشروع مأمور به، وتجوز المناظرة فيه والمحاجة لأهل البدع، ووضع الكتب في الرد عليهم، وإلى ذلك ذهب أئمة التحقيق القاضي، والتميمي في جماعة المحققين وتمسكوا في ذلك مع استغنائه عن قول يسند إليه بقول الإمام أحمد في رواية المروذي إذا اشتغل بالصوم والصلاة، واعتزل، وسكت عن الكلام في أهل البدع، فالصوم والصلاة لنفسه، وإذا تكلم كان له ولغيره يتكلم أفضل»[٢].

وقد نص ابن حمدان وغيره أن علم الكلام:

«هو أصول الدين إذا تكلم فيه بالمعقول المحض، أو المخالف للمنقول الصريح الصحيح، فإن تكلم فيه بالنقل فقط، أو بالنقل والعقل الموافق له فهو أصول الدين، وطريقة أهل السنة»[٣].

يتضح مما تقدم تقريره أن القول بالجواز تعلم علم الكلام والتصنيف فيه له شروط:

١ ـ يجوز استعماله للرد على أهل البدع وتأليف الكتب في رد شبههم، وليس لتأسيس عقائد المسلمين على قواعد علم الكلام.

٢ ـ أن يكون تبعًا للمنصوص من القرآن والسنة، لا أصلًا يعتمد عليه كما عند

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٠٧).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٣) صفة المفتي والمستفتي (٢٢٥). كشاف القناع (٧/ ٨). مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤٩).

Сканировано с CamScanner

بعض الطوائف.

هذا هو معتمد مذهب الحنابلة ﷺ وعن جميع علماء الأمة.

قال القدَّومي رحمه الله في المنهج الأحمد: (الخاتمة في فضل التسليم وذم علم الكلام):

«اعلم رحمك الله ان الإمام أحمد كغيره من أئمة السلف، ثبت النقل عنهم في ذم الاشتغال في علم الكلام؛ والمراد به ما كان محض القياس والرأي، ولم يكن مأخوذًا من كتاب أو سنة.

قال الامام أحمد رحمه الله: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع؛ وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين»، وهو قول الشافعي من قبل وقول مالك من قبلهما وجماعة من أئمة الإسلام والسنة.

..... إلى أن قال رحمه الله

إذا علمت ذلك فأسلم الطرق التسليم، فما سلم دين لم يسلم لله ولرسوله، وردُّ علم ما اشتبه إلى عالمه، ومن أراد علم ما يمنع علمه، ولم يقنع بالتسليم، حجبه مراده عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الايمان ومن لم يتوق النفي والتشبيه ضل ولم يصب التنزيه، والتعمق في الفكر ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فإنه يفتح باب الحيرة غالبا وقل أن يكون ملازمه إلا خائبًا، وسبيل الحق بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر فعليك باتباع أهل السنة والآثار دون أصحاب الأفتكار والأبتكار، والاسراف في الجدل يورث عداوة الرجال وينشئ الفتن ويولد الإحن فعليك بطلب الحق والصدق والوقوف معهما وترك التنفير عنهما»[1].

وعلم الكلام المحرم باتفاق هو العلم المبني على الفلسفة والتأويل، والأباطيل والإلحاد.

---

(١) المنهج الأحمد (١٤٦ ـ ١٤٧).

Сканировано с CamScanner

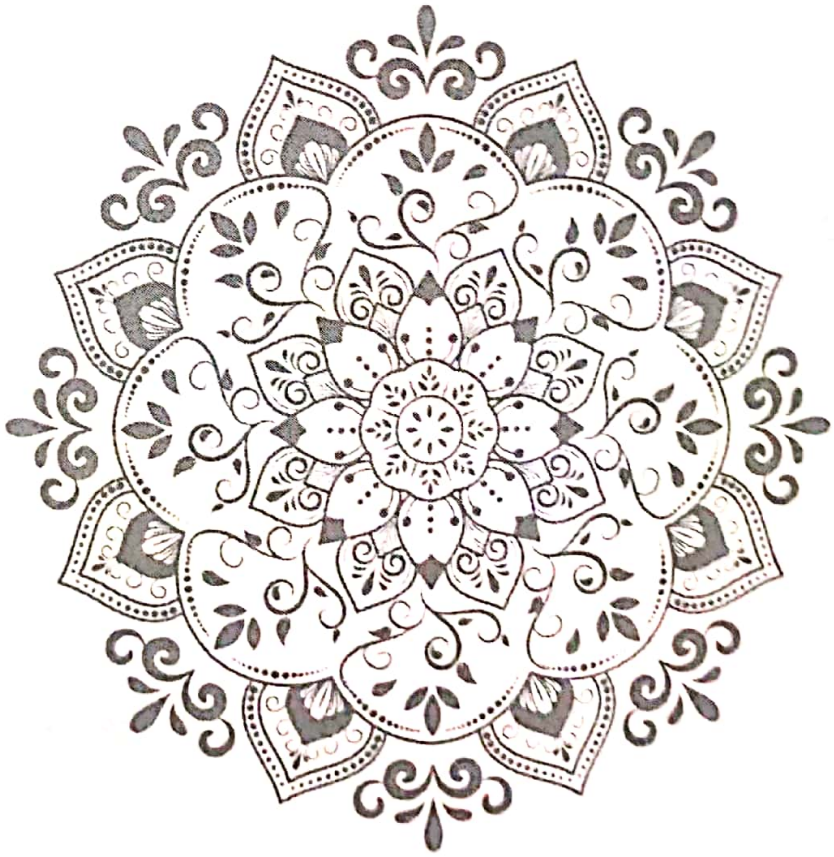

Сканировано с CamScanner

المقدمة الرابعة

(الخلاف العقدي بين علماء الحنابلة)

المذهب الحنبلي الأثري العقدي يمثل امتدادًا لما عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان ﷺ أجمعين، وموقف الإمام أحمد ﷺ زمن الفتنة، رسَّخ المذهب، وضاعف ثقله ووجوده لدى الأمة، ولا زال ـ من فضل الله علينا ـ إلى يومنا هذا بالرغم مما يتعرض له[1].

والمطلع على عقيدة الحنابلة اطلاع استقراء كامل سيجد أن علماء الحنابلة متفقون في أصول العقيدة.

ومصنفات العقيدة متوافرة بيننا بجميع طبقاتهم تثبت ذلك، بداية من المتقدمين إلى المتوسطين إلى المتأخرين، مع اختلافهم في بعض الفروع.

وهذا ليس بمستغرب فإن الخلاف في بعض المسائل العقدية وقع بين الصحابة ﷺ.

لذلك يعمد البعض إلى تصوير الخلاف بين علماء المذهب على أنهم غير متفقين في الاعتقاد وزعموا أن هذا سبب لعدم وجود معتقد للحنابلة!.

وهي من جملة الشبه التي تلقى على العامة.

فمما هم متفقون فيه وهو من الأصول أن القرآن كلام الله تعالى بحرف وصوت غير مخلوق.

ومتفقون على أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته

---

(١) من اطلاق شبهات سواء كان في الفروع أو في الأصول والمراد بالأصول (العقيدة).
لاسيما ممن ينسبون له، إذ أن مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ لم يتعرض للتشويه من قبل خصومه، مثل ما تعرض له من قبل من ينسبون أنفسهم له زعموا.

Сканировано с CamScanner

شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقد بين تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وجهًا من الخلاف في مسألة اثبات وتفويض الصفات الخبرية حيث قال:

«ما زال في الحنبلية من يكون ميله إلى نوع من الإثبات الذي ينفيه طائفة أخرى منهم ومنهم من يمسك عن النفي والإثبات جميعًا.

ففيهم جنس التنازع الموجود في سائر الطوائف لكن نزاعهم في مسائل الدق؛ وأما الأصول الكبار فهم متفقون عليها ولهذا كانوا أقل الطوائف تنازعا وافتراقا لكثرة اعتصامهم بالسنة والآثار لأن للإمام أحمد في باب أصول الدين من الأقوال المبينة لما تنازع فيه الناس ما ليس لغيره.

وأقواله مؤيدة بالكتاب والسنة واتباع سبيل السلف الطيب. ولهذا كان جميع من ينتحل السنة من طوائف الأمة ـ فقهائها ومتكلمتها وصوفيتها ـ ينتحلونه»[1].

والذي عليه الإمام وأصحابه وسلف الأمة هو التسليم للصفات كما سيأتي في موضعه.

* * *

* ايراد وجوابه:

فإن قيل من الأدلة على عدم وجود مسمى حنبلي للعقيدة، هو تعدد الاتجاهات العقدية داخل المذهب، ومن أمثلتها ابن عقيل وابن الجوزي رحمهما الله فكل واحد منهما مثل اتجاهًا مختلفًا.

قلنا: جوابنا على ذلك من وجوه:

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

Сканировано с CamScanner

الوجه الأول:

عند النظر إلى المذهب الفقهي الواحد، يتضح عند سبره وجود قول اعتمده فقهاء ذاك المذهب، مع وجود خلاف داخل المذهب، إلا أنه لا يمثل المعتمد مهما قوي الخلاف.

وليس من المنهج العلمي ذكر قول مرجوح في المذهب ونسبته لمعتمده.

وكذلك بالنسبة لعقيدة الحنابلة في أصولها لا وجود للخلاف كما تقدم ذكره، كمسألة تفويض معاني الصفات الخبرية، فهذه المسألة معتمدة عند الحنابلة كما نص على ذلك الإمام في رواية حنبل رحمه الله.

فليس من المنهج العلمي جعل اختيار عالم من علماء المذهب الحنبلي وجعله ممثلًا لقول المذهب، كابن عقيل وابن الجوزي رحمهما الله.

الوجه الثاني:

أما قولكم ابن عقيل رحمه الله تعالى:

فقد رجع وتاب عن كل ما صنفه وتضمن البدع وقد بين ذلك الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى في كتاب (تحريم النظر في كتب الكلام) حيث قال:

«فإنني وقفت على فضيحة ابْن عقيل الَّتِي سَمَّاهَا نصيحة وتأملت مَا اشْتَمَلت عَلَيْهِ من الْبدع القبيحة والشناعة على سالكي الطَّرِيق الْوَاضِحَة الصَّحِيحَة فَوَجَدتهَا فضيحة لقائلها قد هتك الله تَعَالَى بهَا ستره وَأبْدى بهَا عَوْرَته وَلَوْلَا أنه قد تَابَ إِلَى الله ﷻ مِنْهَا وتنصل وَرجع عَنْهَا واستغفر الله تَعَالَى من جَمِيع مَا تكلم بِهِ من الْبدع أَو كتبه بِخَطِّهِ أَو صنفه أَو نسب إِلَيْهِ لعددناه فِي جملَة الزَّنَادِقَة وألحقناه بالمبتدعة المارقة وَلكنه لما تَابَ وأناب وَجب أَن تحمل مِنْهُ هَذِه الْبِدْعَة والضلالة على أَنَّهَا كَانَت قبل تَوْبَته فِي حَال بدعته وزندقته.

ثمَّ قد عَاد بعد تَوْبَته إِلَى نَص السّنة وَالرَّدّ على من قَالَ بمقالته الأولى بِأَحْسَن كَلَام وأبلغ نظام وَأجَاب على الشُّبَه الَّتِي ذكرت بِأَحْسَن جَوَاب وَكَلَامه فِي ذَلِك كثير فِي كتب كبار وصغار

Сканировано с CamScanner

وأجزاء مُفْرَدَة وَعِنْدنَا من ذَلِك كثير»[١].

وكتابه (جزء في أصول الدين) خير دليل على رجوعه بل الكتاب مشحون بالرد ونقض شبه اهل البدع.

الوجه الثالث:

اتجاه ابن الجوزي رحمه الله واختياره لا يمثل المذهب الحنبلي العقدي وقد أنكر عليه أئمة المذهب وبينوا أن كلامه مضطرب في هذا الباب وأنه تابع في ذلك ابن عقيل رحمه الله تعالى.

قال ابن رجب رحمه الله: «نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعًا على الأحاديث والآثار في هذا الباب فلم يكن خبيرًا بحل شبهة المتكلمين، وبيان فِسادها، وكان معظِّمًا لابن عقيل، يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه، وإن كان قد ردَّ عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعًا في الكلام، ولم يكن تامّ الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون»[٢].

الوجه الرابع:

أن ما اعتمده الحنابلة في مسائل أصول الاعتقاد منصوص في كتبهم منذ زمن الإمام إلى يومنا هذا بروايات ثابتة، سطروها في مصنفات اعتقاد الحنابلة الأثرية.

بينوا فيها ما اعتمده الإمام أحمد رضي الله عنه وعلماء المذهب.

ولاشك أن كل من تكلم في معتقد الحنابلة لا يعرف حقيقته ولم يطلع على المصنفات

---

(١) تحريم النظر في كتب الكلام (٣٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٧).

Сканировано с CamScanner

العقدية الحنبلية ولم يسبرها فيرى جوهرها ويقارن بينها، وسواء كان ممن ينسب نفسه للمذهب كمن يقلد شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في الاثبات، أو من خصوم المذهب، سيجد تعارضًا في ذهنه لأنه جعل ما يعتقده معيارًا لعقيدة الحنابلة، وهذا غلط في تقرير المسائل العلمية، كما تقدم.

Сканировано с CamScanner

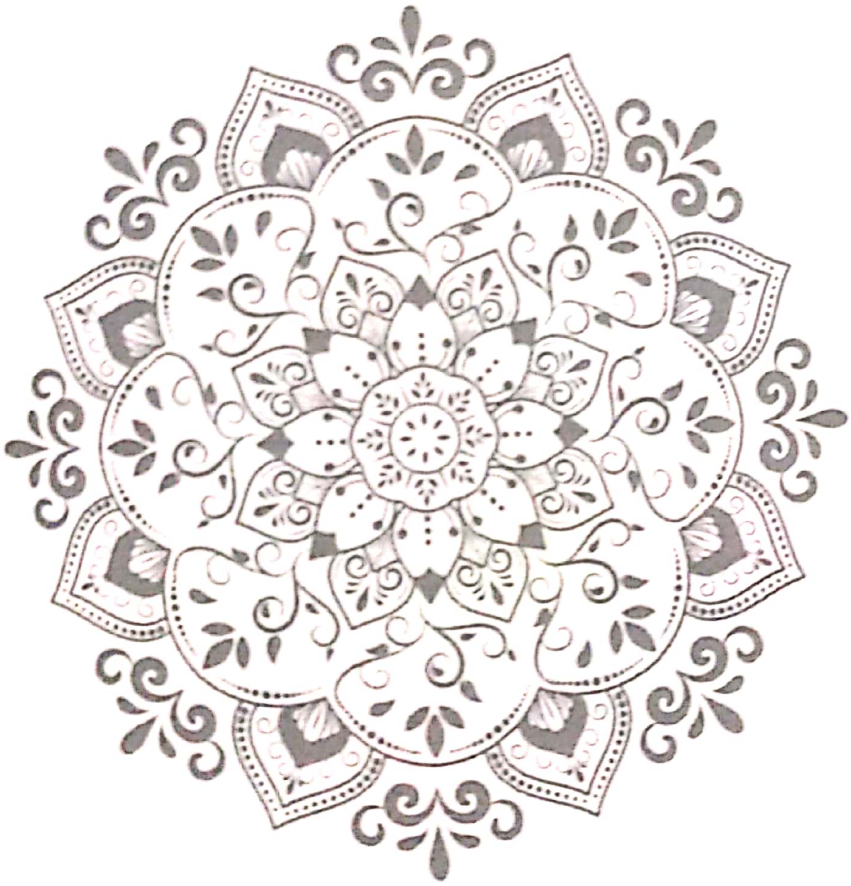

Сканировано с CamScanner

مصنف الكتاب

اسمه ونسبه:

عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمَّاعيلي شيخ المذهب الإمام بحر علوم الشريعة المطهرة ـ رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة آمين ـ.

مولده ونشأته:

ولد ـ رحمه الله ـ بجمَّاعيل من عمل نابلس في فلسطين سنة ٥٤١ هـ، وقدم دمشق مع أهله.

وصفه:

قال الضياء ـ رحمه الله ـ: كان تام الخلقه أبيض مشرق الوجه أدعج كأن النور يخرج من وجهه لحسنه واسع الجبين طويل اللحية قائم الأنف مقرون الحاجبين صغير الرأس لطيف اليدين والقدمين نحيف الجسم ممتعا بحواسه.

طلبه للعلم:

حفظ القرآن دون سن البلوغ وحفظ مختصر الخرقي، وكتبَ الخط المليح، وقرأ على مشايخ دمشق، ثم سافر إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبدالغني المقدسي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وستين، وأقاما بها أربع سنوات يدرس على شيوخها.

شيوخه:

بلغ شيوخه ـ رحمه الله ـ ٣٢ شيخ منهم:

Сканировано с CamScanner

١ ـ أحمد بن محمد بن قدامة والده بدمشق.

٢ ـ الشيخ عبدالقادر بن عبدالله الجيلي.

٣ ـ الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ببغداد.

٤ ـ الشيخ أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر ابن المَنِّيّ ببغداد.

٥ ـ الشيخ أبو المكارم بن هلال بدمشق.

٦ ـ الشيخ أبو الفضل عبدالله بن أحمد الطوسي بالموصل.

٧ ـ الشيخ المبارك بن الطباخ بمكة ـ حرسها الله ـ.

٨ ـ خديجة بنت أحمد بن الحسن النهروانية ببغداد.

نبذه عن حياته:

لما رجع الإمام الموفق من بغداد إلى دمشق تصدر في جامع دمشق مدة طويلة، وبعد موت أخيه أبي عمر صار هو الذي يؤم المصلين بالجامع المظفري ويخطب يوم الجمعة إذا حضر، وهو إمام محراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلى فيه الموفق إذا كان في البلد.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: كان يتنفل بين العشاءين بالقرب من محرابه، فإذا صلى العشاء انصر إلى منزله بدرب الدّولَعِيّ بالرصيف، وأخذ معه الفقراء من تيسر، يأكلون معه من طعامه وكان منزله الأصلي بقاسيون.

كان لا يناظر أحدا إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه.

وقيل أنه ناظر ابن فضلان الشافعي ـ الذي كان يضرب به المثل في المناظرة ـ فقطعه.

وقال الضياء: كان حسن الأخلاق لا يكاد يراه أحد إلا مبتسما يحكي الحكايات ويمزح وسمعت البهاء يقول: كان الشيخ يمازحنا وينبسط، وكان لا ينافس أهل الدنيا، ولا يكاد يشكو،

Сканировано с CamScanner

وربما كان أكثر حاجة من غيره، وكان يؤثر.

وسمعت البهاء يصفه بالشجاعة، وقال: كان يتقدم للعدو وجرح في كفه وكان يرامي العدو.

وجاءه مرة الملك العزيز ابن العادل يزوره فصادفه يصلي فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته ثم اجتمع به، ولم يجوز في صلاته.

عقيدته:

قال السبط بن الجوزي ـ رحمه الله ـ: كان صحيح الاعتقاد مبغضا للمشبهة، وقال: من شرط التشبيهات أن يرى الشيء ثم يشبهه، من رأى الله تعالى حتى يشبهه لنا؟!!.

وقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: لم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره، ولا يرى إطلاق مالم يؤثر من العبارات...

قال السبط بن الجوزي: شاهدت من الشيخ أبي عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد فأنساني حالهم أهلي وأوطاني ثم عدت إليهم على نية الإقامة عسى أن أكون معهم في دار المقامة.

جهاده في سبيل الله:

سار الإمام موفق الدين على خطا والده في الدعوة والجهاد، فكان من العلماء العاملين، يعطي جلّ وقته في اليوم للدعوة إلى الله وتعليم الناس وكان له دروس يومية في المدرسة العمرية وفي جامع الحنابلة، ورغم ذلك كان لا ينقطع عن الجهاد ضد الفرنجة ولما حشد صلاح الدين يوسف بن أيوب جيوش الإسلام في سنة ٥٨٣هـ لقمع الصليبيين وتطهير الأرض المقدسة، وقد حضر وعمره في الثانية والأربعين من العمر وأخوه الشيخ أبو عمر والحافظ عبد الغني المقدسي والعماد المقدسي مع صلاح الدين الأيوبي فتح بيت المقدس وسواحل فلسطين، وقد أصيب في فتح بيت المقدس في يده، كما شارك في وقائع تحرير صفد وعسقلان،

Сканировано с CamScanner

وكان شجاعاً يتقدم الى العدو يرميه بالقوس، وكان يمازح الجند ويطيب خواطرهم ويسري عنهم، ومع ذلك كان لا يغفل عن العبادة والذكر.

تلامذته:

تفقه علي يديه الكثير من أهل العلم منهم:

١ ـ الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي ابن العماد ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ أحمد بن سلامة بن أحمد النجار ـ رحمه الله.

٤ ـ الحافظ أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبدالله ابن قدامة حفيده ـ رحمهما الله ـ.

٥ ـ إسماعيل بن عبدالرحمن بن عمر والمرداوي ابن الفراء ـ رحمه الله ـ.

٦ ـ خليل بن أبي بكر بن صديق المراغي ـ رحمه الله ـ.

٧ ـ الحافظ محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي المقدسي ضياء الدين ـ رحمه الله ـ.

٨ ـ عبدالحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان ـ رحمه الله ـ.

٩ ـ عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة ـ رحمه الله ـ شارح المقنع.

١٠ ـ الحافظ محمد بن سعيد بن يحي ابن الدبيثي الشافعي.

١١ ـ الحافظ محمد بن محمود بن الحسن ابن النَّجَّار ـ رحمه الله ـ.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة ذكرها ابن رجب وغيرها منها:

١ ـ العمدة.

Сканировано с CamScanner

٢ ـ المقنع.

٣ ـ الكافي.

٤ ـ المغني، وهو أكبر كتبه ومن كتب الإسلام المعدودة.

٥ ـ الاستبصار، في الأنساب.

٦ ـ الاعتقاد.

٧ ـ التوابين.

٨ ـ ذم التأويل

٩ ـ ذم الوسواس.

١٠ ـ روضة الناضر وجنة المناظر.

١١ ـ فضائل الصحابة

١٢ ـ القدر.

١٣ ـ لمعة الاعتقاد.

١٤ ـ مسألة في تحريم النظر في علم الكلام.

١٥ ـ مناسك الحج.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ يوم السبت في يوم عيد الفطر عام ٦٢٠هـ ودفن من الغد في جبل قاسيون خالف الجامع المطفري[1].

(١) ينظر سيرة الموفق رحمه الله في: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٨/ ٦٢٧) سير اعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥). ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٣). وأحوال الإمام ابن قدامة المقدسي لضياء الدين المقدسي مخطوط.

Сканировано с CamScanner

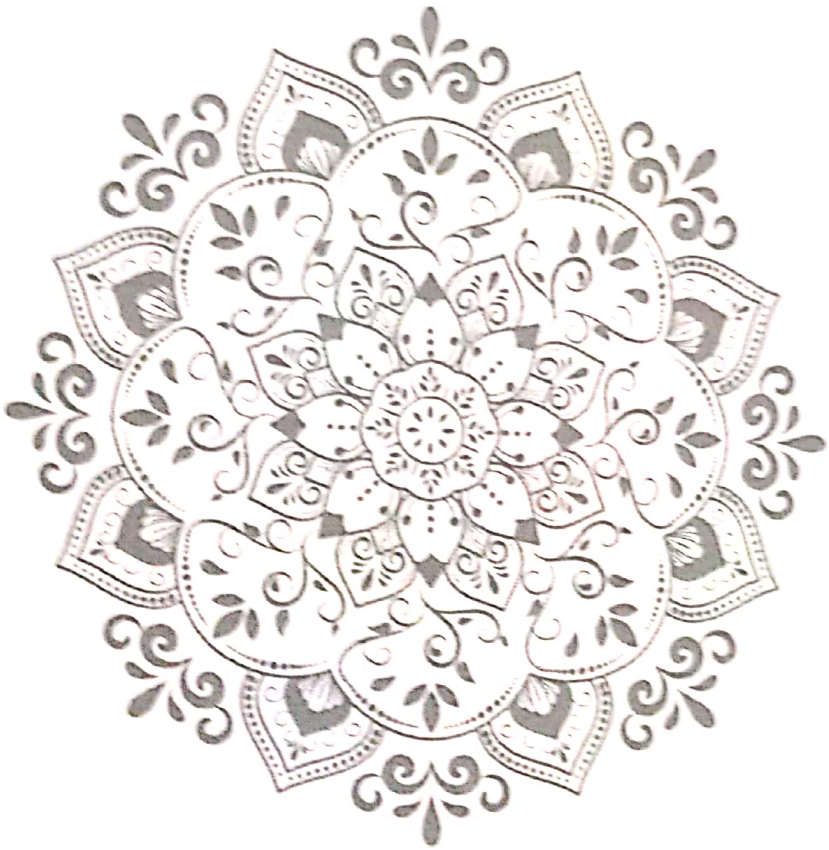

Сканировано с CamScanner

التعريف بالكتاب

قبل التعريف بالكتاب أنوه إلى أني اعتمدت في الشرح على مخطوطين، إضافة إلى المطبوع منه.

اسم الكتاب:

(لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد)

وهو ما وجدته في أول مخطوط الكتاب برقم٩٠ وفي أعلى زاوية أول ورقة التي عليها العنوان مكتوب (في نوبة إسماعيل ابن الشيخ محمد الشاش).

والعنوان المكتوب (لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد) ويليه (فتوى للشيخ عبد الرحمن افندي العمادي في الدروز). أهـ من اول المخطوط.

واثبت في نهاية الكتاب بقوله (وهي لمعة في الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد) وغالبا من كلام المصنف.

ووجدته في مخطوط آخر ووصفه (انه مكتوب أعلى الصفحة: لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد) للموفق ابن قدامة المقدسي رحمه الله.

واسفل منه عبارة (برسم الأخ العزيز عبد اللطيف).

فاسم الكتاب (لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد) ثابت في المخطوطين.

الكتاب معتمد في التدريس في مذهب الحنابلة:

يعتبر من كتب العقيدة المعتمدة عند الحنابلة في التدريس حيث قال السفاريني رحمه الله في مقدمته لشرح لكتاب: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية:

Сканировано с CamScanner

«وذلك بعد قراءتهم علينا مختصرات العقائد جملة كلمعة الإمام الموفق، ومختصر نهاية المبتدئين لشيخ مشايخنا البدر البلياني، والعين والأثر للشيخ عبد الباقي والد أبي المواهب»[1].

وهو من الكتب التي صنفت وفق اتباع الأثر عري عن علم الكلام.

ومما ينبغي بيانه أن الموفق رحمه الله لم يكن من المتكلمين ولا من المنطقيين بل كان أثريًا وقد أنكر العلثي[2] الحنبلي - رحمه الله - على الموفق مقدمته المنطقية وعاتبه عليها فأسقطها من الروضة بعد أن انتشرت بين الناس فلهذا توجد في نسخة دون نسخة ولما اختصر الطوفي الكتاب أسقط المقدمة واعتذر بأعذار منها - وهو الذي عول عليه - أنه لا تحقيق له في فن المنطق ولا أبو محمد له تحقيق به أيضا فلو اختصرها لظهر بيان التكليف عليها من الجهتين فلا يتحقق الانتفاع بها للطالب ويقطع عليه الوقت[3].

معنى عنوان الكتاب:

لمعة: كل لون خالف لون الشيء الموجود فيه.

لمع البرق.

واللُّمْعَةُ بالضَّمِّ قِطْعَة منَ النَّبْتِ إِذا أخذَتْ فِي اليُبْسِ نَقَله الجَوْهَرِيُّ وَهُوَ مجازٌ، ج: لِماعٌ، ككِتاب، ونُقِلَ عَن ابنِ السِّكِّيتِ قالَ: لُمْعَةٌ قَدْ أَحَشَّتْ، أَي: قدْ أَمْكَنَتْ لأنْ تُحَشَّ، وذلكَ

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٢).

(٢) وهو إسحاق بن أحمد بن محمد بن علي بن غانم العلثي الحنبلي الإمام الزاهد القدوة كان فقيها عالما أمارا بالمعروف نهاءا عن المنكر لا يخاف أحدا إلا الله ولا تأخذه في الله لومة لائم أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه وواجه الخليفة وصدعه بالحق.
قال بعضهم هو شيخ العراق والقائم بالإنكار على الفقهاء والفقراء وغيرهم فيما ترخصوا فيه وقال الحافظ المنذري قيل إنه لم يكن في زمانه مثل إنكارا للمنكر منه وحبس على ذلك مدة وله رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عليهم والنصح لهم، توفي سنة ٦٣٤هـ ببلده العلث.
انظر المدخل لابن بدارن (٤٦٤).

(٣)

Сканировано с CamScanner

إِذا يَبِسَتْ واللُّمْعَةُ: المَوْضِعُ الّذِي يَكْثُرُ فِيهِ الخَلَى، وَلَا يُقَالُ لَهَا لُمْعَة حتّى تَبْيَضَّ، وقيلَ: لَا تَكُونُ اللُّمْعَةُ إلاّ منَ الطَّرِيفَةِ والصِّلِّيانِ إِذا يَبِسا، تَقُولُ العَرَبُ: وقَعْنَا فِي لُمْعَةٍ منْ نَصيٍّ وصِلِّيان، أَي: فِي بُقْعَةٍ مِنْهَا ذاتِ وَضَحٍ، لِمَا نَبَتَ فِيهَا منَ النَّصِيِّ، وتُجْمَعُ لُمَعًا.

واللُّمْعَةُ: الجَماعَةُ من النّاسِ، الجَمْعُ لُمَعٌ، ولِماعٌ، قالَ القَطامِيُّ:

(زَانُ الجَـــاهِلِيَّ كُـــلُّ حِـــيٍّ أَبْرَنَـــا مِـــنْ فَصِـــيلَتِهِم لِماعَـــا)

واللُّمْعَةُ فِي غَيْرِ هَذَا: المَوْضِع: الّذِي لَا يُصيبُه الماءُ فِي الوضوءِ أَو الغُسْلِ، وَهُوَ مجَاز، ومنهُ الحَدِيثُ: أَنَّه اغْتَسَلَ فَرَأى لُمْعَةً بمنْكِبِه، فدَلَكَهَا بشَعْرِه أرادَ بُقْعَةً يَسِيرَةً منْ جَسَدِه، لم يَنَلْهَا الماءُ، وهيَ فِي الأَصْلِ قِطْعَةٌ منَ النَّبْتِ إِذا أَخَذَتْ فِي اليُبْسِ، وَفِي حَدِيثِ الحَيْضِ: فَرَأى بِهِ لُمْعَةً منْ دَمٍ.

وَمن المَجَازِ اللُّمْعَةُ البُلْغَةُ منَ العَيْشِ يُكْتَفَى بِهِ.

واللُّمْعَةُ منَ الجسَدِ: نَعْمَتُه، وبَرِيقُ لونِه، قالَ عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ العِبَادِيُّ:

(تُكْـــذِبُ الأَنْفُـــسَ لُمْعَتُهـــا وتَحُـــورُ بعـــدُ آثـــارا)[1]

❁ ❁ ❁

(١) لسان العرب (٨/ ٣٢٦). تاج العروس (٢٢/ ١٦٩). القاموس المحيط (٧٦٢).

Сканировано с CamScanner

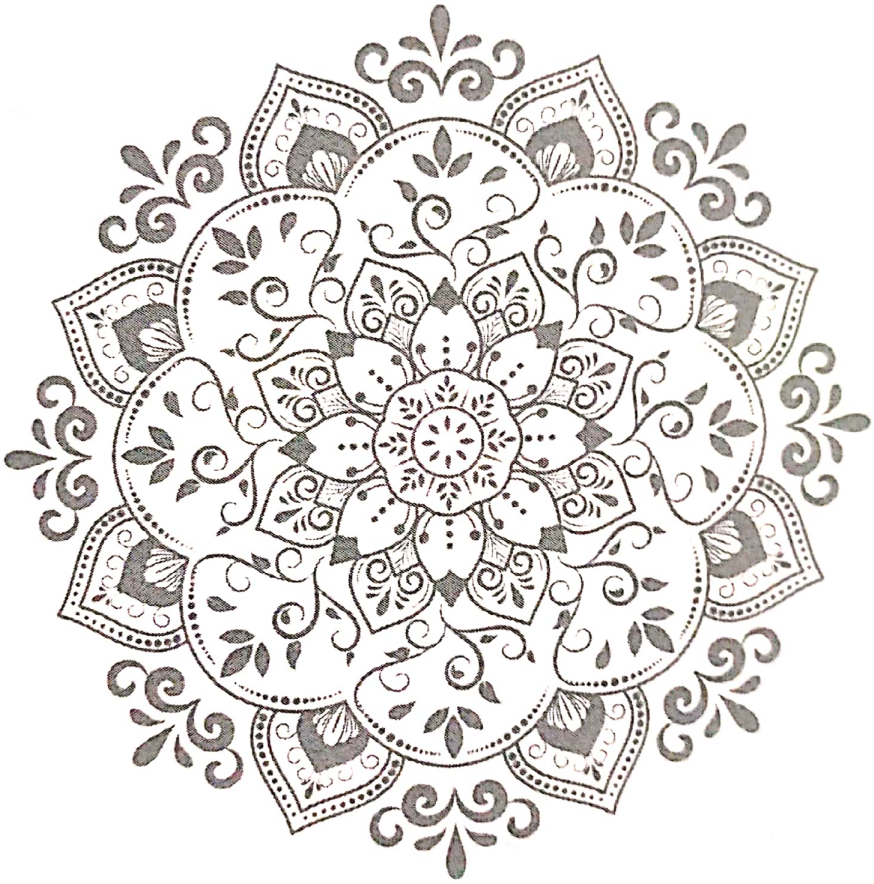

Сканировано с CamScanner

شَرْحُ الكِتَاب

اعلم أن **مَذْهَبَ الحَنَابَلَةِ هَو مَذْهَبُ السَّلَف**، فيصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله ـ تعالى ـ ذات لا تشبه الذوات، متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات، فإذا ورد القرآن العظيم، وصحيح سنة النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ بوصف للباري ـ جل شأنه، تلقيناه بالقبول والتسليم، ووجب إثباته له على الوجه الذي ورد، ونكل معناه للعزيز الحكيم، ولا نعدل به عن حقيقة وصفه، ولا نلحد في كلامه، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا نزيد على ما ورد، ولا نلتفت لمن طعن في ذلك ورد. فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف، فمن عدل عن هذا المنهج القوي، زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف. فدع عنك فلانا عن فلان، وعليك بسنة سيد ولد عدنان، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، والجنة الواقية التي لا انحلال لها. والله ـ تعالى ـ الموفق.

لوامع الانوار البهية للسفاريني (١/ ١٠٧).

Сканировано с CamScanner

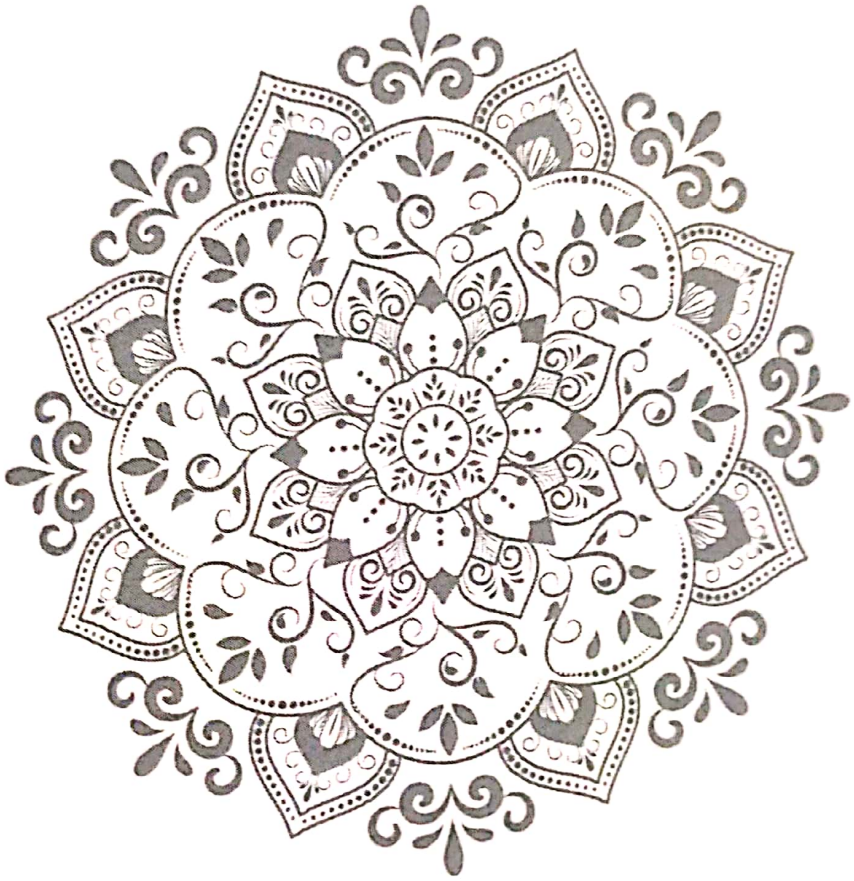

Сканировано с CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسّر

قال الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه وقدس الله روحه ونور الله ضريحه.

الحمد لله المحمود.....

قولُه تعالى: (الحمد للهِ).

الحمدُ: الثناءُ على الجَمِيل سواءٌ كانت نِعمةً مُبْتدأة إلَى أَحَدٍ أَمْ لاَ.

يُقال: حَمَدْتُ الرجلَ على ما أَنْعَمَ به، وحمدتُه على شَجَاعته، ويكون باللسانِ وَحْدَهُ، دون عمل الجَوَارح، إذ لا يُقالُ: حمدت زيداً أيْ: عملت له بيدي عملاً حسناً، بخلاف الشكر؛ فإنه لا يكونُ إلاّ على نعمةٍ مُبْتَدأةٍ إلى الغير.

يُقال: شَكَرْتُه على ما أعطاني، ولا يُقالُ: شكرتُه على شَجَاعَتِه، ويكون بالقلبِ، واللِّسانِ، والجَوَارح؛ قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]. ومنه قول الشاعر:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

فيكونُ بين الحَمْدِ والشُّكْرِ عُمُومٌ وخُصُوصٌ من وجه.

الحمدُ: الثناءُ عليه تعالى: بأوصافِه، والشكرُ: الثناءُ عليهِ بِأَفْعاله. فالحامدُ قِسْمَانِ: شاكِرٌ ومُثْنٍ بالصفاتِ الجَمِيلة[1].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل الحنبلي (١/ ١٦٨).

Сканировано с CamScanner

بكل لسان، المعبود في كل زمان،.....

قوله: (بكل لسان):

والمراد به اللغات، وأصل اللسان: اللِّسْنُ اللُّغةُ.

يقال: لكل قوم لِسْنٌ.

فقوله: (بكل) هذا عموم يشمل جميع الألسنة، أي جميع اللغات.

فمراد الموفق رحمه الله، أن الله تعالى محمود بجميع اللغات وبجميع الألسن مع اختلافها وقد بين الله سبحانه أن خلقه يسبحونه ولكن لا نعرف ولا نفهم لغة التسبيح قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا من حق الله تعالى على خلقه.

قوله: (المعبود في كل زمان):

الله سبحانه مستحق العبادة في كل زمان فهو الخالق له.

فمنذ أن خَلَقَ الله الخلْقَ، وهم قد أقروا على أنفسهم بأن الله ربهم وهم عبيده، فهو معبود بحق.

وسواء كان في ليل أو نهار.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

ومعنى العشي: الوقت من زوال الشَّمس إِلى المغرب، أَو من صلاة المغرب إِلى العَتَمَةِ، والمراد به صلاة العصر.

والإبكار: أَول النهار إِلى طلوع الشمس، والمراد به صلاة الفجر.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

Сканировано с CamScanner

الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن.....

وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

تبين بالاستدلال بالآيات المتقدمة، أن الله سبحانه معبود في كل زمان.

قوله: (الذي لا يخلو من علمه مكان)

دليل ذلك، قوله تعالى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

فعلم الله تعالى لا يخلو من مكان سواء في السموات أو الأرضين، في البر في البحر، وفي كل مكان[1].

قوله: (ولا يشغله شأن عن شأن)

الله سبحانه له الأسماء الحسنى وله صفات الكمال المطلق، فهو الموصوف بالعلم والقدرة وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وله القدرة على كل شيء.

---

(١) وسيأتي قريبًا الكلام على صفة العلم.

Сканировано с CamScanner

جل عن الأشباه والأنداد.....

فجل وعلا يسمع، ويخلق، يحيي، ويميت، يعز ويذل، يغني فقيرًا ويفقر غنيًا

فلا يشغله شأن عن شأن، ولا سمعٌ عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا تُغلِّطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات، على كل شيء قدير وأحاط بكل شيء علمًا وخلق كل شيء، وقدر مقادير الخلق هو الله جل جلاله.

قوله: (جل عن الأشباه والأنداد)

(جَلَّ): الْجِيمُ وَاللَّامُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: جَلَّ الشَّيْءُ: عَظُمَ، وَجُلُّ الشَّيْءِ مُعْظَمُهُ. وَجَلَالُ اللهِ: عَظَمَتُهُ. وَهُوَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. وَالْجَلَلُ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ. وَالْجِلَّةُ: الْإِبِلُ الْمَسَانُّ. قَالَ:

أَوْ تَأْخُذَنْ إِبِلِي إِلَيَّ سِلَاحَهَا ... يَوْمًا لِجُلَّتِهَا وَلَا أَبْكَارِهَا

جَلَلَ: اللهُ الجَليلُ سُبْحَانَهُ ذُو الجَلال والإكرام، جَلَّ جَلال اللهِ، وجَلالُ اللهِ: عظمتُه، وَلَا يُقَالُ الجَلال إلا لِلَّهِ. والجَلِيل: مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَقَدَّسَ وَتَعَالَى، وَقَدْ يُوصَفُ بِهِ الأمر الْعَظِيمُ، وَالرَّجُلُ ذُو الْقَدْرِ الخَطِير. وَفِي الْحَدِيثِ: أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلال والإكرام.

(الأشباه): مفرده شبه، شبه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم.

(والأنداد): مفرده ند: (النِّد) الْمثل والنظير يُقَال هُوَ نده وَهِي ند فُلَانَة (ج) أنداد وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

ومعنى قوله رحمه الله: تعظم الله وعز عن الشبيه والمثل وفيما أريد بالأنداد ها هنا قولان:

أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد.

Сканировано с CamScanner

وتنزه عن الصاحبة والأولاد.

والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي.

ومراد الموفق رحمه الله: تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن الشبيه والمثيل.

قوله: (وتنزه عن الصاحبة والأولاد).

دليل ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

الجد في اللغة: العظمةُ والجلالُ، ومنه قول أنس رضي الله عنه: «كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيوننا»(١). أي: عظم وجل فمعنى «جَدُّ ربِّنَا» أي: عظمته وجلاله.

أي تعالى وتعظم وجلَّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا، وهو منزه عن ذلك.

وقوله: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

والدليل العقلي على تنزيه الله سبحانه عن الولد فيقال: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟.

قلنا: الولد إنما يكون متولدًا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد، كما انه لو يوجد اولاد لفسدت الحياة.

ويدل على ذلك دليل الفطرة الذي هو دليل على أصل وجود الصانع والخالق فإنّه يدلّ أيضاً على وحدانيّته، فيتوجّه إليه في الشدائد ويرجوه في الملمّات والتوجّه والرجاء فرع معرفته والعلم به، كذلك يلاحظ إنّ الإنسان في تلك الأحوال إنّما يتوجّه إلى حقيقة واحدة ويرجو ربّاً واحداً لا أكثر.

---

(١) أخرجه احمد في المسند (٣/ ١٢٠).

Сканировано с CamScanner

ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله: (ونفذ حكمه في جميع العباد)

معنى: نفذ: مضى، ونفَّذ الحُكمَ: أمضاه.

أي مضى أمر الله تعالى في خلقه جميعًا فلا قدرة لأحد على الخروج عن حكم الله تعالى، وكل شيء مضى بقضاء الله وقدره.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قوله: (لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. أي: لا تتصور العقول له مثيلًا مهما بلغت من ذكاء ونباهة، أو تتصور القلوب صفات الله تعالى، فجلَّ في علاه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فنفى الله تعالى أن يكون له مثيل، وأثبت لذاته سبحانه السمع والبصر.

وصفات الله تعالى وأسماءه لا تدرك بالعقل لأن العقل إنما يعلم صفة ما رآه أو رأى نظيره والله تعالى لا تدركه الأبصار ولا نظير له ولا شبيه فلا تعلم صفاته وأسماؤه إلا بالتوقيف والتوقيف إنما ورد بأسماء الصفات دون كيفيتها وتفسيرها فيجب الإقتصار على ما ورد به السمع لعدم العلم بما سواه وتحريم القول على الله تعالى بغير علم بدليل قول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. مذكور في أربع سور:

Сканировано с CamScanner

له الأسماء الحسنى والصفات العليا.....

أولها: هذه السورة.

وثانيها: آخر الإسراء قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وثالثها: أول طه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

ورابعها: آخر الحشر قوله جل وعلا: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

ومعنى له الأسماء الحسنى: أي التسميات التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[1]. أحصيناه حفظناه.

فهي أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد وتعظيم الله وصفات كمال الله ونعوت جلال الله، وأفعال حكمة ورحمة ومصلحة وعدل من الله، يدعى الله بها، وتقتضي المدح والثناء بنفسها.

سمى الله بها نفسه في كتبه أو على لسان أحد من رسله أو استأثر الله بها في علم الغيب عنده، لا يشبهه ولا يماثله فيها أحد، وهي حسنى يراد منها قصر كمال الحسن في أسماء الله، لا يعلمها كاملة وافية إلا الله تعالى.

قوله: (والصفات العليا) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥ ـ ٧]).

وفي نسخة العلى.

والصفات العليا، أو العلى، وهي صفات عالية رفيعة، ولذلك جاءت صفة العلو

(١) رواه البخاري (٩/ ١١٨).

Сканировано с CamScanner

له الأسماء الحسنى والصفات العليا.....

أولها: هذه السورة.

وثانيها: آخر الإسراء قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وثالثها: أول طه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

ورابعها: آخر الحشر قوله جل وعلا: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

ومعنى له الأسماء الحسنى: أي التسميات التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[1]. أحصيناه حفظناه.

فهي أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد وتعظيم الله وصفات كمال الله ونعوت جلال الله، وأفعال حكمة ورحمة ومصلحة وعدل من الله، يدعى الله بها، وتقتضي المدح والثناء بنفسها.

سمى الله بها نفسه في كتبه أو على لسان أحد من رسله أو استأثر الله بها في علم الغيب عنده، لا يشبهه ولا يماثله فيها أحد، وهي حسنى يراد منها قصر كمال الحسن في أسماء الله، لا يعلمها كاملة وافية إلا الله تعالى.

قوله: (والصفات العليا) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥ ـ ٧]).

وفي نسخة العلى.

والصفات العليا، أو العلى، وهي صفات عالية رفيعة، ولذلك جاءت صفة العلو

(١) رواه البخاري (٩/ ١١٨).

Сканировано с CamScanner

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥ ـ ٧].

معطوفة على الأسماء الحسنى والصفات العليا.

صفات الله تعالى قديمة توقيفية ليست حادثة ولا تحلها الحوادث، فما ثبت به الكتاب والسنة من صفات نثبته، ولا نتجاوزه، ولا نتأوله، ولا نشبهه، ولا نقول كيف. لا نتعدى نصوص الوحيين.

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥ ـ ٧] ذكر المصنف رحمه الله الاستواء على العرش، لأن الله سبحانه خص العرش بالذكر تشريفا له؛ إذ هو أعظم المخلوقات.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فقال: «هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»[1].

قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٦ ـ ٧].

وما بينهما من جميع المخلوقات.

وما تحت الثرى، والثرى هو التراب الندي وقال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء.

الله سبحانه اثبت صفة العلم له جل وعلا فقال:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ [طه: ٧]، ترفع صوتك به.

﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ [طه: ٧]، ما أسره لغيره.

---

(١) ذكره مجير الدين الحنبلي في فتح الرحمن في تفسير القرآن (٢/ ٥٣٠).

Сканировано с CamScanner

أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا،.....

﴿وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، هو ما أسر في نفسه.

فالله سبحانه يعلم بما يجهر العبد به وما يسره لغيره وما يسره في نفسه.

قوله: **أحاط بكل شيء علمًا.**

فلا يخفى عليه شيء، ولا يخرج شيء عن علمه.

قوله: **وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا.**

قهر: أي غلب بعزة: أي بقدرته وبقوته كل مخلوق قد خلقه الله تعالى ومهما بلغ من قوة وقدرة فإن الله تعالى قدرته وقوته فوق كل قوة مخلوق.

حكما: لا ينتقمُ إلا بالحق.

قوله: **ووسع كل شيء رحمة وعلمًا.**

أثبت المصنف صفة الرحمة لله تعالى وهي صفة قديمة وهي من الصفات المتشابهة[1] نثبت لفظها ونكل معناها إلى قائلها وهي ليست ارادته وليست عبارة عما يخلقه من النعم، ولا تشبه رحمة المخلوق فإن أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المبادئ التي هي انفعالات الملازمة للمخلوق، ونقول أنَّ رحمته وسعت كل شيء، وفي الدُّنيا تعُمُّ الكل، وأمَّا في الآخرةِ فهي مختصة بالمؤمنين لقوله هنا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهذا من العام الذي أريد به الخاص كقوله ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

---

(١) انظر اقاويل الثقات.

Сканировано с CamScanner

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

أثبت المصنف رحمه الله صفة العلم بدلالة ثبوتها في القرآن والسنة، وهي صفة ذاتية، والله سبحانه عالم بعلم واحد قديم، باقٍ ذاتي، محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على ما هو عليه، فلا يتجدد علمه بتجدد المعلومات، وعلمه بمعلومات غير متناهية، ولا يتعدد بتعددها، ليس ضروري ولا كسبي، ولا نظري ولا استدلالي.

قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [طه: ١١٠]، أي ما قدموا «وَمَا خَلْفَهُمْ» من أمر الدنيا.

يعلم الله تعالى تعالى جميع أحوالهم

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، تعالى ﴿عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، لا يدركون ما بين أيديهم وما خلفهم.

ولا يدركون ذات الله جل وعلا ولا يدركون كنه صفاته.

فيوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث.

وصفات الله تعالى قديمة وليس منها شيء محدث، ولا حادث.

وهي ضربان[1]:

صفات ذاتية: وهي الصفات اللازمة له سبحانه: كالعلم والحياة والقدرة والكلام والإرادة والسمع والبصر.

---

(١) قسم القاضي أبو يعلى رحمه الله الصفات الى ثلاثة اقسام، صفات ذاتية، وصفات معنوية وصفات فعلية. ص٤٤.

Сканировано с CamScanner

موصوف بما وصفه به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان رسوله الكريم.

فالله تعالى لم يزل عالمًا بعلم، وحيٌّ بحياة، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع وبصير ببصر، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام وأمر بأمر وناهٍ بنهي ومخبر بخبر.

وصفات فعلية: كالرزق والاحياء والاماتة والاثابة والعقاب، فهي صفات صادرة عن فعل الله تعالى.

Сканировано с CamScanner

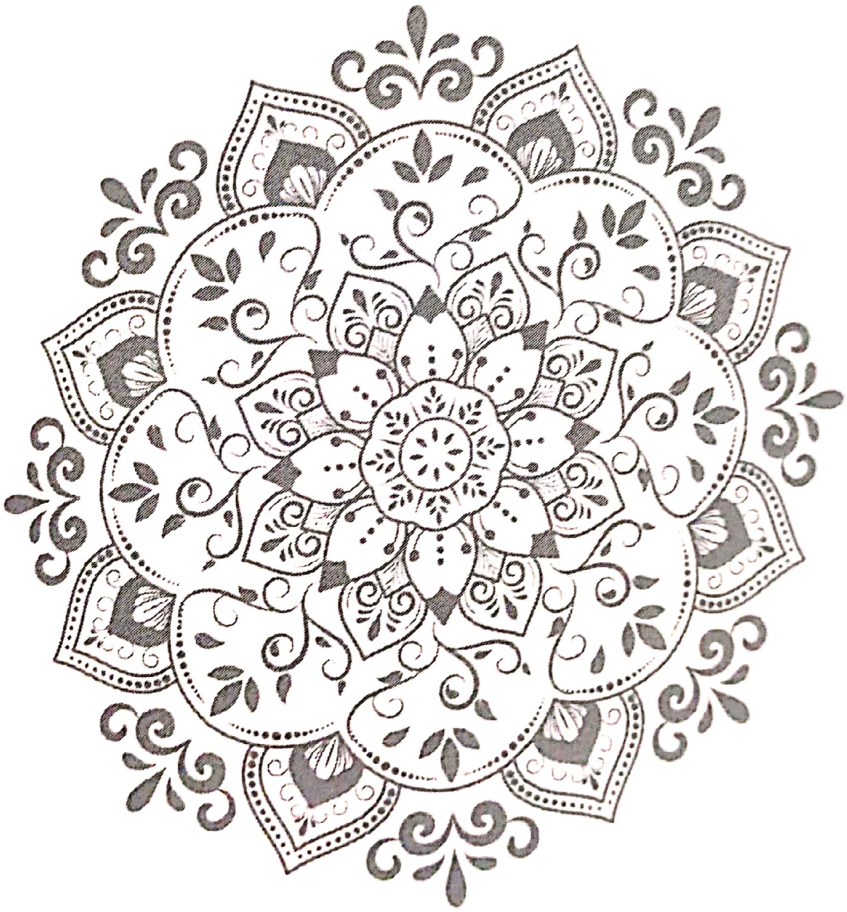

Сканировано с CamScanner

(قواعد تأصيلة في معرفة صفات الله تعالى)

القاعدة الأولى

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به،.....

من المعلوم لدى المشتغلين في علم العقائد، أن مذهب الحنابلة الأثري هو عين مذهب السلف، وعلى قانونهم الذي وضعوه، وقد قعدوا لباب الأسماء والصفات قواعد يستقيم ـ من خلالها ـ لدى الطالب هذا الباب العظيم.

القاعدة الأولى:

التسليم والقبول لصفات الله تعالى بدون تأويل أو تشبيه وتمثيل

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن النبي ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

قوله: **وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به.**

إن من الايمان الغيبي الذي أمرنا الله تعالى به، هو الإيمان به وهو محجوب عنا، فكذلك صفاته لا نعلم كنها ولا كيفيتها، فوجب الإيمان بها غيبًا على ما جاءت.

فكل صفة من صفات الله سبحانه وردت في القرآن فالواجب الإيمان بها، على ما جاءت في القرآن.

Сканировано с CamScanner

وتلقيه بالتسليم والقبول،.....

وكل ما ثبتت صحته من أحاديث النبي ﷺ فالواجب التصديق والإيمان به.

وما أجمعت الأمة على وصفه، ونكف عما كفوا عنه ونقف حيث وقفوا، لا نتعدى القرآن والسنة والإجماع في ذلك.

فكل صفة جاءت في القرآن أو السنة أو الإجماع وجب التصديق به والإيمان به، والأخذ به.

قوله: **وتلقيه بالتسليم والقبول.**

التسليم: هو الامتثال، والإنقياد، وترك الاعتراض.

ومنه قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، ومعناه: استسلما وانقادا لأمر الله[1].

قوله: القبول: الرِّضا بالشيءِ وميلُ النَّفْس إليه.

ومعنى تلقي ما ورد من صفات الله تعالى في القرآن والسنة التسليم والقبول بها، هو الانقياد والرضى وعدم الاعتراض عليها، وإن لم يتقبلها عقله، لأن صفات الله تعالى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالسمع وما جاء في النقل.

وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه في أصول السنة من رواية عبدوس ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق (حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تخليق النطفة)، وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، فإنما عليه

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين الحنبلي (٥/ ٥٣٦).

Сканировано с CamScanner

وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفا واحدا.

قوله: **وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.**

ومعنى التعرض له بالرد أي عدم قبول النصوص الواردة فيها صفات رب البريات سواء الرد يكون بالتأويل أو التشبيه أو التمثيل.

فلا يجوز ردُّ هذه الأخبار على ما ذهب اليه المعتزلة ولا ردها بالتشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات لرب العالمين لا تشبه صفات الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها.

والتأويل: لغة الرجوع، وهو من آل يؤول، أي: رجع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧].

أي: طلب ما يؤول إليه معناه، فهو مصدر أولت الشيء فسرته من آل إذا رجع؛ لأنه رجوع من الظاهر إلى ذلك الذي آل إليه في دلالته اللفظ.

اصطلاحًا: صرف اللفظ عن ظاهره المراد إلى غيره.

والمراد به هنا التأويل المحرم الذي لا دليل صادر عن الله تعالى ورسوله ﷺ، كتأويل استوى باستولى.

والتشبيه: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه.

والمراد هنا: وصف الله ﷻ بصفات عباده للمشترك اللفظي، وبلوازم صفات المخلوقين.

وقد أنكر الإمام أحمد رضي الله عنه التشبيه، فقال في رواية حنبل رحمه الله: المشبهة تقول:

Сканировано с CamScanner

بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه[١].

حكم التشبيه عند الحنابلة الأثرية:

تشبيه صفات الله تعالى بخلقه كفر بالله سبحانه.

قال ابن حمدان رحمه الله:

قال: لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، ومن شبهه بخلقه فقد كفر، نص عليه أحمد. وكذا من جسَّم، أو قال: إنه جسم لا كالأجسام. ذكره القاضي[٢].

والتمثيل:

جعل الشيء مماثلًا لغيره.

الفرق بين الشبه والمثل: أن الشبه يستعمل فيما يشاهد فيقال السواد شبه السواد ولا يقال القدرة كما يقال مثلها.

والمثيل فيما لا يشاهد.

وليس في الكلام شئ يصلح في المماثلة إلا الكاف والمثل، فأما الشبه والنظير فهما من جنس المثل ولهذا قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فأدخل الكاف على المثل وهما الاسمان اللذان جعلا للمماثلة فنفى بهما الشبه عن نفسه فأكد النفي بذلك.

---

(١) ابطال التأويلات (١/ ٤٣).

(٢) نهاية المبتدئين (٣١).

Сканировано с CamScanner

.....

أسلم الطرق التسليم، فما سلم دين من لم يُسَلِّم لله ورسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه إلى عالمه، ومن أراد علم ما يمتنع علمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتردد بين الإقرار والإنكار، شاكًا زائغًا متحيراً، ولا مؤمنًا صادقًا، ولا جاحداً مكذبًا، ولا مؤمنًا محققًا.

Сканировано с CamScanner

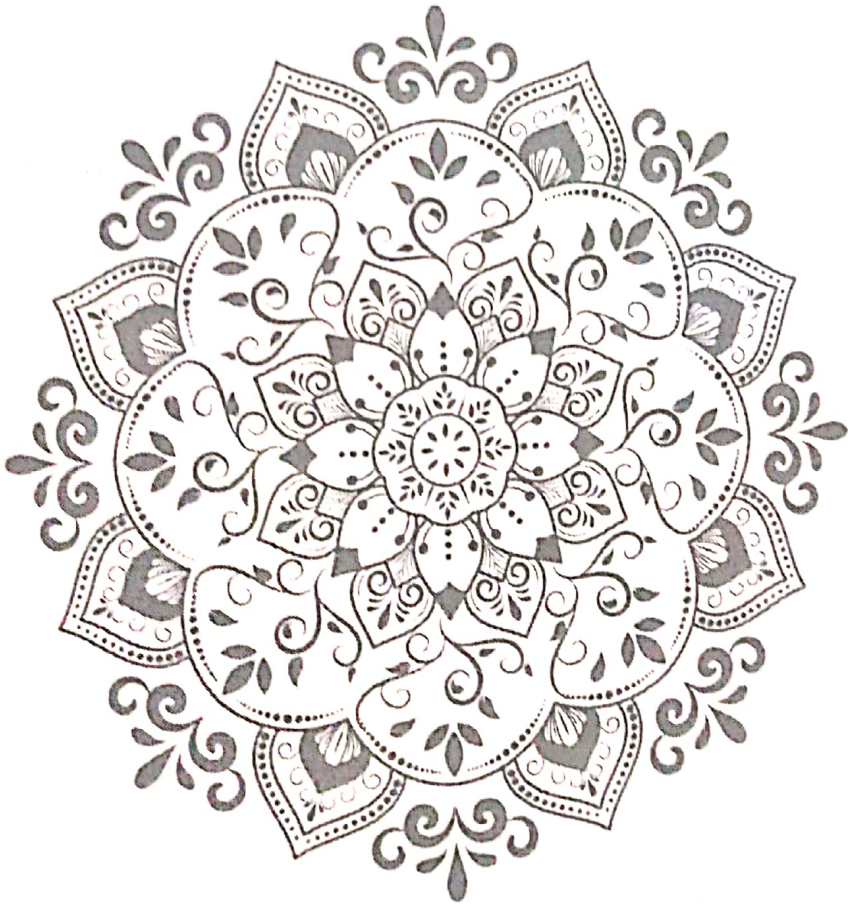

Сканировано с CamScanner

القاعدة الثانية

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم،.....

القاعدة الثانية

اثبات الصفات لفظًا وعدم تفسير معنى الصفة ورد العلم بمعناها إلى قائلها

وأن الوقف على قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، واجب.

قوله: وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله.

هذا هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى ومنهم الإمام أحمد وسار عليه عامة الحنابلة، اثبات الصفة لفظًا اثباتًا وجوديًا، وترك تحديد معنى الصفة.

قوله: ونرد علمه إلى قائله.

نرد علمه إلى ما ذكره الله تعالى من صفاته في القرآن العظيم.

قوله: ونجعل عهدته على ناقله.

أي ما نقله النبي ﷺ.

Сканировано с CamScanner

ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

والتأصيل لذلك ذكره المصنف رحمه الله بقوله:

اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

مذهب الحنابلة العقدي الأثري في آيات كتاب الله العظيم:

أن **المحكم**: ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان.

والمتشابه: ما احتاج إلى بيان.

ومعتمد المذهب أن المتشابه: ما ورد في صفات الله ـ سبحانه ـ مما يجب الإيمان به، ويحرم التعرض لتأويله.

وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية ابن إبراهيم، المحكم: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون فيه موضع كذا وكذا»[(١)].

قال تقي الدين رحمه الله: «جمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا هو المأثور عن أُبَيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أوجه، تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب»[(٢)].

---

(١) التمهيد في أصول الفقه (٢/ ٢٧٦).

(٢) الرسالة التدمرية (٩٠) مع التنويه بأنه رحمه الله يرى القول الثاني وهو أن آيات الصفات من المحكم. والملاحظ أنه يثبت أن مذهب الوقف التام على قوله (إلا الله) هو مذهب جمهور السلف والخلف=

Сканировано с CamScanner

.....

قال الموفق رحمه الله: والصحيح[١] أن المتشابه: ما ورد في صفات الله سبحانه مما يجب الإيمان به، ويحرم التعرض لتأويله، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

فهذا اتفق السلف ـ رحمهم الله ـ على الإقرار به، وإمراره على وجهه وترك تأويله.

فإن الله ـ سبحانه ـ ذم المبتغين لتأويله، وقرنهم ـ في الذم ـ بالذين يبتغون الفتنة، وسماهم أهل زيغ»[٢].

ووجه الاستدلال عند الحنابلة:

في ذلك أن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. واجب وتام نقلًا وعقلًا.

قال الموفق رحمه الله في روضته:

«ولأن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه متفرد بعلم المتشابه، وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله لفظا ومعنى، أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون آمنا به بالواو، أما المعنى فلأنه ذم مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين

= وصوب قول الأصحاب وصرح بذلك في المجموع (١٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، مع أن المسألة متفق عليها بين الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين، إلا أنه خالف في ذلك رحمه الله.

(١) المسألة خلافية بين العلماء وقد سبق هذا القول بصفحة ذكره بقوله «وقال آخرون: المتشابه: الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم: ما عداه». أهـ.

وقال آخرون: المحكم: الوعد والوعيد، والحرام والحلال.

(٢) روضة الناظر (١/ ٢١٥).

Сканировано с CamScanner

.....

معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما؛ ولأن قولهم آمنا به يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيما إذا تبعوه بقولهم: كل من عند ربنا فذكرهم ربهم هاهنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره، وأنه صدر من عنده، كما جاء من عنده المحكم؛ ولأن لفظة أما لتفصيل الجمل فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة، وهم الراسخون.

ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل، وإذ قد ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على غير ما ذكرناه، لأن ما ذكر من الوجوه لا يعلم تأويله كثير من الناس»[1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق (١/ ٢١٥).

Сканировано с CamScanner

(فصل في نصوص علماء المذهب في أن آيات الصفات من المتشابه)

.....

إن المعتمد المتقرر في مذهب الحنابلة الأثري، أن آيات الصفات من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه لظهور تشبيه واشتراك لفظي في آيات الصفات، وأن الراسخين من العلماء يؤمنون به على ظاهره، فلا يتكلفون معرفة معناه، ويثبتون لفظه ومن هذه الأقوال.

١ ـ ركن المذهب القاضي أبو يعلى رحمه الله:

«فصل في الدلالة على أنه لا يجوز الاشتغال بتأويلها وتفسيرها ـ يقصد آيات الصفات ـ من وجوه أحدها:

أن آي الكتاب قسمان: أحدهما محكم تأويله تنزيله يفهم المراد منه بظاهره.

وقسم هو متشابه لا يعلم تأويله إلا الله، ولا يوقف على معناه بلغة العرب بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فالواو ههنا للاستئناف، وليست عاطفة، كذلك أخبار الرسول، ﷺ، جارية هذا المجرى، ومنزلة على هذا التنزيل، منها البين المستقل في بيانه بنفسه، ومنها ما لا يوقف على معناه بلغة العرب»[1].

٢ ـ قال أبو الخطاب الكلوذاني رحمه الله تلميذ القاضي:

«المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. (والمتشابه: ما احتاج إلى بيان)

---

(١) (ابطال التأويلات ٥٩ ـ ٦٠).

Сканировано с CamScanner

.....

وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية ابن إبراهيم، المحكم: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون فيه موضع كذا وكذا»[١].

٣ ـ قال ابن مفلح رحمه الله:

«قال ابن مفلح تلميذ تقي الدين رحمهما الله في أصوله:

«والمتشابه: عكسه؛ لاشتراك أو إجمال، قال جماعة من أصحابنا وغيرهم: وما ظاهره تشبيه، كصفات الله»[٢].

٤ ـ قال الطوفي رحمه الله:

«المحكم المتضح المعنى، كالنصوص والظواهر؛ لأنه من البيان في غاية الإحكام والإتقان.

و«المتشابه مقابله»: أي: مقابل المحكم، وهو **غير المتضح المعنى**؛ فتشتبه بعض محتملاته ببعض للاشتراك، أي: تشابهه.

وعدم اتضاح معناه: إما لاشتراك، كلفظ العين والقرء، ونحوهما من المشتركات، أو لإجمال؛ وهو إطلاق اللفظ بدون بيان المراد منه، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ولم يبين مقدار الحق، ونحو ذلك مما سيأتي في باب المجمل والمبين إن شاء الله تعالى.

أو لظهور تشبيه في صفات الله تعالى، كآيات الصفات وأخبارها نحو: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يد الله ملأى

---

(١) التمهيد في أصول الفقه (٢/ ٢٧٦).

(٢) أصول الفقه لابن مفلح (١/ ٣١٦).

Сканировано с CamScanner

.....

لا تغيضها النفقة، فيضع الجبار قدمه، فيظهر لهم في الصورة التي يعرفونها، خلق الله آدم على صورة الرحمن، ونحو ذلك، مما هو كثير في الكتاب والسنة؛ لأن هذا اشتبه المراد منه على الناس؛ فلذلك قال قوم بظاهره؛ فجسموا وشبهوا، وفر قوم من التشبيه؛ فتأولوا وحرفوا؛ فعطلوا، وتوسط قوم فسلموا وأمروه كما جاء، مع اعتقاد التنزيه؛ فسلموا، وهم أهل السنة»[١].

٥ ـ قال المرداوي رحمه الله:

«والمتشابه: مقابله، وهو غير المتضح المعنى، فتشتبه بعض محتملاته ببعض، **للاشتراك وعدم اتضاح معناه**..... إلى أن قال: «أو لظهور تشبيه في صفات الله تعالى، كآيات الصفات وأخبارها، فاشتبه المراد منه على الناس، فلذلك قال قوم بظاهره فشبهوا وجسموا، وفر قوم من التشبيه فتأولوا وحرفوا فعطلوا، وتوسط قوم فسلموا فأمروه كما جاء مع اعتقاد التنزيه فسلموا، وهم أهل السنة وأئمة السلف الصالح»[٢].

٦ ـ قال مرعي الكرمي رحمه الله:

«ومن المتشابه المجيء في قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. فمذهب السلف في هذا وأمثاله السكوت **عن الخوض في معناه**

وتفويض علمه إلى الله تعالى كما مرت الإشارة إليه أول الكتاب»[٣].

بهذه النقول يتبين.

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح مختصر الروضة (٢/ ٤٥).

(٢) التحبير (١/ ١٣٩٧).

(٣) أقاويل الثقات (٦١).

Сканировано с CamScanner

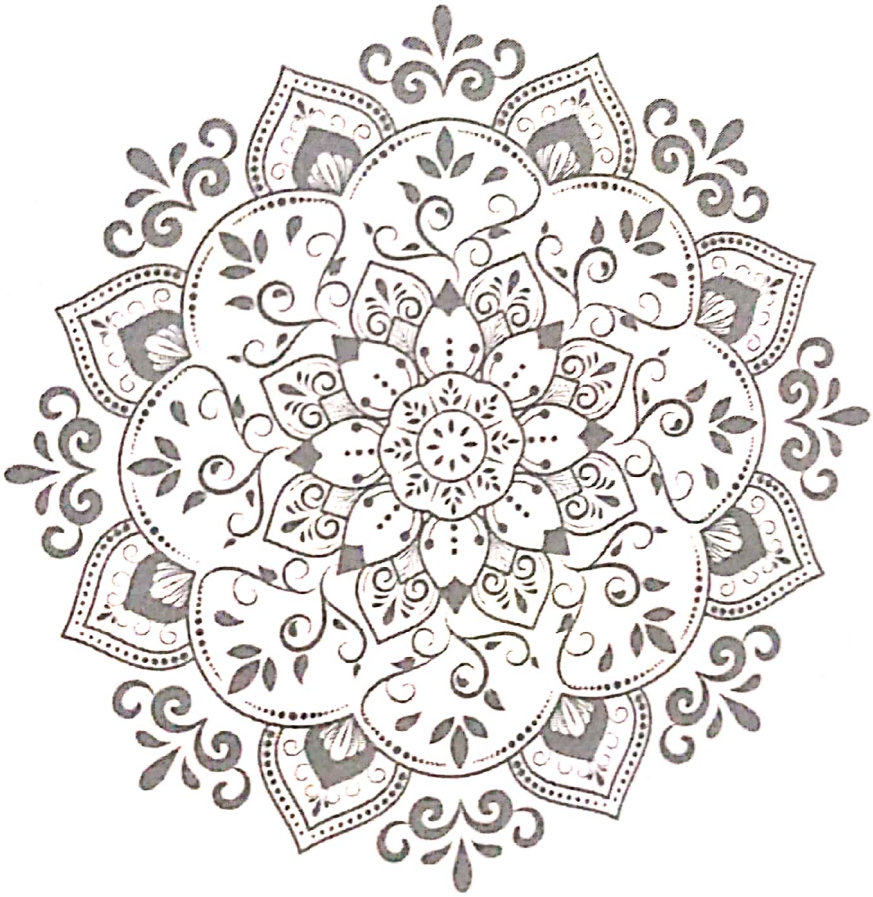

Сканировано с CamScanner

القاعدة الثالثة

رواية الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

قال الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»[١]، أو «إن الله يرى في القيامة»[٢]، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن[٣].

القاعدة الثالثة

الإيمان بالأحاديث التي وردت فيها صفات الله تعالى، والتصديق بها، دون الخوض في كيفيتها، ولا الخوض في معناها، ولا نرد شيئًا منها، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، مع نفي الحد والغاية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابطال التأويلات (٤٥) ذم التأويل لابن قدامة (٢٢). وتقي الدين ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٣١).

Сканировано с CamScanner

.....

قوله: **قال الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل** ﷺ **إلى قوله: ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول** ﷺ**، وتثبيت القرآن.**

هذا نص الإمام أحمد ﷺ نقله حنبل بن اسحق رحمه الله تعالى وتناقله علماء المذهب ورووه عنه كالخلال وأبي يعلى والموفق رحم الله الجميع، وتلقوها بالقبول دون نكير منهم[1].

قوله: **بلا كيف.**

أي نفي علم المخلوق بكيفية صفات الباري جل وعلا، كقول الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة.

قوله: **ولا معنى.**

هذا هو المعتمد عند الإمام وسار عليه الاصحاب، إثبات لفظ الصفة اثباتًا وجوديًا،

---

(١) ولم ينقل أن أحدًا من علماء المذهب انكر ثبوت هذه الرواية، لاسيما وأن حنبل رحمه الله من أخص تلاميذ الإمام بعد أولاده عبدالله وصالح وثالث رواة المسند ونقل ذلك في الطبقات: «قال حنبل بن إسحاق جمعنا عمي لي ولصالح ولعبدالله وقرأ علينا المسند وما سمعه منه يعني ثانيا غيرنا» طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣).

وقد وثقه أئمة كبار: منهم: أ. قال أبو بكر الخلال: «قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية، وأغرب بغير شيء، وإذا نظرت في مسائله شبهتها حُسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم» طبقات الحنابلة ١/ ٣٨٤.

ب. قال الدارقطني: «حنبل بن إسحاق بن حنبل كان صدوقًا» تاريخ بغداد ٩/ ٢١٧.

ج. قال الخطيب البغدادي: «كان ثقة ثبتًا».

د. قال عنه الذهبي: «الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق، المصنف أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه. ولد قبل المائتين» السير.

وقال عنه في تذكرة الحافظ: «الحافظ الثقة ابن عم الإمام أحمد وتلميذه... حدث عنه أبو بكر الخلال... قال الخطيب: كان ثقة ثبتًا» (٦٠٠).

Сканировано с CamScanner

.....

بدون اثبات معنى خاصًا لها.

قال أبو عبدالله: ونحن نؤمن بالأحاديث في هذا ونقرها، ونمرها كما جاءت بلا كيف، ولا معنى إلا على ما وصف به نفسه تعالى، نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة، ونعوذ بالله من الزلل، والارتياب والشك إنه على كل شيء قدير[1].

وقد صرح الإمام أحمد في هذه الرواية بقوله: ولا معنى إلا على ما وصف به نفسه تعالى.

ومعناه تفويض معنى الصفة إلى قائلها.

كحديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا وهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

فنحن نؤمن بنزول الله تعالى الى السماء الدنيا، ونصدق بالحديث الذي ورد ونسلم له، ولا نرده على قائله ﷺ ولا نقول نزوله على هذه الكيفية، ولا نعلم معنى النزول ونفوضه إلى قائله، ولا نؤول النزول ونقول نزول رحمته.

نقول ينزل ربنا كما شاء وكيف شاء لا نعرف كيفية نزوله، ولا نقول نزول انتقال وحركة وعلى هذا درج أئمة الإسلام والسنة.

قال حنبل بن اسحق: «قلت لأبي عبدالله: ينزل الله ﷻ، إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال: اسكت عن هذا وغضب غضبًا شديدًا[2]، ما لَكَ ولهذا، امض الحديث على ما روي، بلا كيف، ولا حد، بما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب قال الله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ينزل كيف يشاء؛ بعلمه وقدرته، أحاط بكل شيء

---

(١) الإبانة (٧/ ٥٨).

(٢) ابطال التأويلات (١/ ٢٦٠).

Сканировано с CamScanner

علما، لا يبلغ قدره واصف، ولا ينأى عنه»[١].

وقد قال أحمد في رسالته إلى مسدد: إن الله، ﷻ، ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلوا من العرش فقد صرح أحمد بالقول إن العرش لا يخلوا منه[٢].

Сканировано с CamScanner

(فصل في طرف من أقوال أئمة المذهب في صفة نزول الله تعالى)

.....

وقد اقتفى علماء المذهب آثار أئمة الإسلام والسنة وانتهجوا في ذلك طريقة الإمام أحمد رحم الله الجميع، ونصوا على ذلك في كتبهم منهم وليس على سبيل الحصر:

١ ـ قال البربهاري رحمه الله:

كل ما سمعت من الآثار شيئًا مما لم يبلغه عقلك، نحو قول رسول الله ﷺ: «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله: «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا»، وينزل يوم عرفة ويوم القيامة، وأن جهنم لا تزال يُطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه، وقول الله تعالى للعبد: «إن مشيت إليّ هرولت إليك»، وقوله: «إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة»، وقوله: «إن الله خلق آدم على صورته»، وقول النبي ﷺ: «إني رأيت ربي في أحسن صورة»، وأشباه هذه الأحاديث، **فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى، ولا تفسر شيئا من هذه بهواك**، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئا من هذا بهواه أو رده فهو جهمي»[1].

٢ ـ قال القاضي أبو يعلى رحمه الله:

«والوجه في ذلك أنه ليس في الأخذ بظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نحمله على نزول انتقال كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، ولا على أن يخلوا منه مكان ويشغل مكان، لأن هذا من صفات الأجسام، بل نطلق القول فيه كما

---

(١) شرح السنة للبربهاري (٦٨).

Сканировано с CamScanner

أطلقناه في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا﴾ [يوسف: ٢]، وليس يمتنع إطلاق ذلك»[١].

وقال أيضا:

«وليس يمتنع أن نثبت له نزول ذات لا على وجه الانتقال **لا يعقل معناه**»[٢].

٣ ـ قال ابن الزاغوني رحمه الله:

«فنحن نثبت وصفه بالنزول إلى سماء الدنيا بالحديث، ولا نتأوله بما ذكروه، **ولا نلحقه بنزول الآدميين الذي هو زوال وانتقال من علو إلى أسفل بل نسلم للنقل كما ورد**، وندفع بالتشبيه لعدم موجبه، ونمنع من التأويل لارتفاع سببه، وهذه الرواية المشهورة والمعمول عليها عند عامة المشايخ من أصحابنا»[٣].

٤ ـ قال عبد القادر الكيلاني رحمه الله:

«وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا، كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلي الأعلى، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية»[٤].

٥ ـ قال السفاريني رحمه الله تعالى:

«قال الحافظ ابن حجر في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) قد اختلف في معنى النزول على أقوال، فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة، تعالى الله عن

---

(١) إبطال التأويلات (١ / ٢٦١).
(٢) المصدر نفسه (١ / ٢٦٠).
(٣) الايضاح لابن الزاغوني (٢٩٥ ـ ٢٩٦).
(٤) الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ للشيخ عبد القادر الكيلاني (١٢٥).

Сканировано с CamScanner

.....

قولهم، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث وهم الخوارج، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف.

ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة، والسفيانين، والحمادين، والأوزاعي، والليث، وغيرهم، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد يخرج إلى نوع التحريف، قال الإمام الحافظ البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف، والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق، فيصار إليه، قال: ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم»[(١)].

قوله: **أو «إن الله يرى في القيامة»**.

ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه أن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار وقرأ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. ولو لم يرد النظر بالعين ما قرن به الوجه.

قال عبدالله: رأيتُ أبي رحمه الله يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية، ويذهب إليها، وجمعها أبي رحمه الله في كتاب وحدَّثنا بها[(٢)].

وقال: حدثني أبي رحمه الله، نا وكيع، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله رحمه الله قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «أما إنكم ستعرضون على ربكم ﷻ، فترونه كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». قال: ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠][(٣)].

---

(١) لوامع الانوار البهية لشرح الدرة المضية (١/ ٢٤٣).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ١٤٥).

(٣) كتاب السنة لعبدالله بن احمد بن حنبل (١/ ٢٢٩).

Сканировано с CamScanner

.....

ونعتقد اعتقادًا جازمًا بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالأبصار، ويكلمهم على ما يليق به فيهما، ولا تراه الكفار، ولا يكلمهم.

ومن أنكر الرؤية كفر، نص عليه أحمد ﷺ.

قال أبو داود: سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال: إن الله لا يُرى فهو كافر[1].

ونعتقد بأن النبي ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء عيانًا، وكلمه يقظة[2].

ولا يجوز رؤيته في الدنيا يقظة شرعًا وتجوز منامًا.

ولا نؤول الرؤية ونقول رحمة، أو رؤيا علم.

والأدلة على أن إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

من القرآن العظيم:

١ ـ قالَ الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

٢ ـ وقالَ تَعَالَى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

٣ ـ وقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٣].

٤ ـ وقالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٤ ـ ٣٥].

من السنة:

وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ

---

(١) سيرة أبي داود (١٧٠٠).

(٢) وردت روايات عن الإمام: «أنه رآه بقلبه»، وعنه: «رآه ونسكت». والمشهور ما اثبتناه.

Сканировано с CamScanner

.....

سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[١].

وعن ابن عمر في حديث النبي ﷺ عن الدجال: «تَعَلَّمُوا أَنَّه لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ»[٢].

قوله: **ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية،** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشعراء: ١١].

قول الإمام أحمد رضي الله عنه **لا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه،** وهو أن لا نتجاوز القرآن والسنة في اثبات صفات رب البريات، إلا بصادر عن الله ورسوله ﷺ أو عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

دون تشبيه أو تأويل أو تكييف أو تعطيل.

قوله: **بلا حد ولا غاية.**

هذه المسألة ذكرت جوابًا عن شبهة طرحها المعتزلة والجهمية في مسألة العلو والاستواء والفوقية.

وهي: أنكم اثبتم في العلو والاستواء على العرش أحوالًا لا تجوز في حق الباري تعالى، ويقتضي ذلك من صفات الأجسام، واثبتم له حد وغاية.

فجاء جواب الإمام احمد رضي الله عنه بقوله بلا حد ولا غاية[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٠٨).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٤٥).

(٣) وردت روايات عن الإمام اثبت فيها الحد: قال الأثرم: قلت لأحمد: يحكى عن ابن المبارك: نعرف ربنا في السماء السابعة، على عرشه، بحد. فقال الإمام أحمد: هكذا هو عندنا. =

Сканировано с CamScanner

.....

قال حنبل في رواية طويلة عن الإمام أحمد رحمه الله «..... وهو على العرش بلا حد، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. كيف شاء، المشيئة إليه والاستطاعة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. كما وصف نفسه، سميع بصير، بلا حد، ولا تقدير[1].

وفي رواية الاصطخري رحمه الله قال الإمام أحمد: «والله ﷻ على عرشه ليس له حد، والله أعلم بحده»[2].

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هذه الآية من أعظم آيات كتاب الله تعالى في عقيدة الأسماء والصفات وهي أصل في هذا الباب.

وهي نفي المثيل لله تعالى، واثبات السمع والبصر، وهو اثبات لجميع الصفات الواردة في كتاب الله تعالى.

فالتوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، ليس كذاته ذوات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات

= وذكر مثلها عن ابن المبارك رحمه الله أنه سئل: قال: «هو على عرشه بائن من خلقه بحد» مسائل حرب ٤١٣.

ولكنها قيدت بأنه لا يعلمه إلا الله تعالى منها.

قال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: جاء رجل إلى أحمد بن حنبل فقال له: لله تبارك تعالى حد؟ قال: نعم، لا يعلمه إلا هو. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]. يقول: محدقين. «بيان تلبيس الجهمية» ٣/ ٧٣٣.

وما أثبتناه هي الرواية المشهورة والمعتمدة عن الامام أحمد رحمه الله أنه بلا حد ولا غاية.

(١) رواه البخاري (١/ ١١٥).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩).

Сканировано с CamScanner

.....

القديمة أن تكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزه عنهما الخالق تعالى، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد بأنه ما عرف الله إلا الله[1].

قوله: **ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه.**

أي نقول كما قال الله تعالى في كتابه عن صفاته، لا نتجاوز ذلك بتشبيه بصفات خلقه، ولا نتأولها، ولا نقول كيف هي، ولا نعطلها.

ومهما بلغ من أراد تأويل صفات الله تعالى فإنه لن يبلغ وصفه جل وعلا لصفاته العليا.

ونؤمن بما جاء في القرآن بمحكمه ومتشابهه وقد تقدم.

ومهما أراد أحد وصف الله سبحانه فإنه لن يبلغوا وصفه، فإنه تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ولا نعلم من صفات الله تعالى الا ما أخبرنا به في كتابه وأخبرنا به رسوله ﷺ.

قوله: **ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنِّعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنْهُ ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن[2].**

ولا نزيل عنه صفة من صفاته ما كان ثابتا بالقرآن والسنة الصحيحة وإن كان آحادًا

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٦/ ١٧٧).

(٢) ابطال التأويلات (٤٥) ذم التأويل لابن قدامة (٢٢). وتقي الدين ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٣١).

Сканировано с CamScanner

.....

لشناعة شنَّعت: وهو القبيح من القول.

أي: مهما بلغ من قول قبيح يرمي به بعض المخالفين لمعتقد أئمة الإسلام والسنة الحنابلة بأنهم حشوية ومجسمة ومفوضة ونحو من هذه الالفاظ، فلن نزيل عن الله تعالى صفة من صفاته التي أثبتها القرآن والسنة الصحيحة.

قوله: كُنْهُ: كلِّ شيءٍ قَدْرُه ونِهايتُه وغايَتُه. يُقَالُ: اعْرِفْه كُنْهَ المعرفةِ.

معنى كلمة الكنه: هو ما تنتهي إليه حقيقة الشيء من جهة معناه، ومن جهة كيفيته، ولهذا لا نعلم كنه صفات الله تعالى.

Сканировано с CamScanner

(فصل في أقوال الأئمة)

قول الإمام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه

القاعدة الرابعة

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

ايراد المصنف لقول الإمام الشافعي رضي الله عنه، بيان موافقة الإمام أحمد رضي الله عنه لمن سبقه من الأئمة وتقرير لما سبق.

وقد اتفق أهل العلم أن أحدًا لم يجمع جمل الإيمان بالله وبرسوله كما جمعه الشافعي رضي الله عنه في قوله الموجز: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله...[1].

وهذا هو الواجب على كل مسلم الإيمان بالله تعالى، وبكل ما جاء عن الله تعالى، على مراد الله تعالى لا على مراد العقل.

والإيمان بالنبي ﷺ وبما جاء من أحاديث صفات لله تعالى وأوامر ونواهي على مراد رسوله ﷺ وقبول ذلك والتسليم له.

❁ ❁ ❁

---

(١) منازل الأئمة الأربعة (١٤٦).

Сканировано с CamScanner

Сканировано с CamScanner

أقوال السلف وأئمة الخلف

القاعدة الخامسة

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم،.....

أي على ما تقدم من تقرير المعتقد من أقوال الإمام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما.

قوله: درج: أي لزم.

قوله: **السلف**:

في اللغة: كل من تقدم المرء من آبائه وأجداده وذوي قرباه.

اصطلاحًا: سَلَفُ الإنسان مَن تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قَرابته ولهذا سمي الصدْر الأَول من التابعين السلَف الصالح[١]، ومتقدمي الائمة المجتهدين المقبولين[٢].

قوله: **الخلف**: كل من يجئ بعد من مضى[٣].

بالفتح من خَلَف، ضد السلف: ما بعد عصر تابع التابعين من العلماء بالفتح من خلف، ضد السلف[٤].

والناظر في تعريف السلف، يرى أن اطلاق تسمية السلف على المعاصر[٥]، لا يصح لغة واصطلاحًا.

---

(١) لسان العرب (٩/ ١٥٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء (٢٤٨).

(٣) القاموس الفقهي (١٢٠).

(٤) معجم لغة الفقهاء (١٩٩).

(٥) وإنما يكون اطلاق تسمية السلفي في تراجم العلماء فإذا ذكر قيل فلان كان سلفي العقيدة.

Сканировано с CamScanner

كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاما معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رضي الله عنه: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

بدليل أن المصنف رحمه الله غاير بين التسميتين وذكر بعد السلف اسم الخلف.

أما الانتساب لطريقة السلف عملًا بها فمحمودة غير مذمومة.

قوله: كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

Сканировано с CamScanner

وقال محمد بن عبد الرحمن الآذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل.

فقال الخليفة ـ وكان حاضرا ـ: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

القاعدة الخامسة

أجمع السلف والخلف على الإقرار بما ورد في صفات الله تعالى واثباتها على مراد الله تعالى من غير تعرض لتأويلها.

Сканировано с CamScanner

(فصل في اتفاق السلف على الإمرار والاثبات بلا تفسير لمعنى ولا تكييف ولا تأويل)

.....

١ ـ قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد: عن الأحاديث التي في الصفات؟ فكلهم قالوا لي: أمروها كما جاءت بلا تفسير[١].

٢ ـ حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد قال: حدثنا أبو حفص عمر بن مدرك القاضي قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي والثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد: عن الأحاديث التي فيها الصفات؟ فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير[٢].

٣ ـ حدثنا القافلائي قال ثنا محمد بن إسحاق قال ثنا الهيثم بن خارجة قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعي والثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن الأحاديث التي في الصفات وكلهم قال أمروها كما جاءت بلا تفسير[٣].

٤ ـ عن الأوزاعي قال سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا أمروها كما جاءت[٤].

وجاءت روايات بلفظ أمروها بلا كيف.

---

(١) العلو (١٤٠).
(٢) الشريعة للآجري (٣/ ١١٤٦).
(٣) الابانة لابن بطة (٧/ ٢٤١).
(٤) الحجة (١/ ٤٧٥).

Сканировано с CamScanner

.....

٥ ـ روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف[١].

٦ ـ وقال محمد بن الحسن رحمه الله في أحاديث الصفات كالنزول ونحوه: «إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها، ونؤمن بها، ولا نفسرها»[٢].

ومراد الأئمة كما هو ظاهر أن نؤمن بالأحاديث التي وردت فيها صفات الله تعالى ونصدق بها ونمرها دون التعرض لمعناها، وجعلوا مجرد القراءة لها بيان وتفسير لمعناها، ولا نقول كيف، وبلا تأويل لما جاء فيها.

فمجموع ألفاظ الروايات عن الأئمة جاءت بلفظ (بلا تفسير، وبلا كيف).

أي دون التعرض للمعنى.

كما روي عن سفيان بن عيينة قال «كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل»[٣].

* * *

*** ايراد وجوابه..**

فإن قيل: مراد الأئمة بلا تفسير ولا كيف: أي اعتقدوها وآمنوا بها وبما دلت عليه من المعنى دون التعرض لها بالتحريف ولا بالتأويل ولا بالتشبيه ولا بالتمثيل مع عدم التعرض للكيفية، وليس معنى بلا تفسير، أي تفويض.

---

(١) العلو (١٩٨).

(٢) ذم التأويل (١٤).

(٣) المصدر نفسه (١٨).

Сканировано с CamScanner

.....

قلنا: جوابه من أوجه:

الأول: أن مراد الأئمة بذلك كما نصوا عليه هو تفويض المعنى والكيفية دون تشبيه أو تأويل أو تعطيل.

الثاني: يدل على ما تقدم: التغاير بين اللفظين (التفسير، والكيف) فلكل معنى منفصل عن الآخر.

«**فالتَّفْسِيرُ**: لغة: مَصْدَرُ فَسَّرَ بِتَشْدِيدِ السِّينِ الَّذِي هُوَ مُضَاعَفُ فَسَرَ بِالتَّخْفِيفِ.

والفَسْرُ الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسر عند السامع.

والتفسير في الاصطلاح نقول: **هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن** وما يستفاد منها باختصار أو توسع»[1]. وعلى هذا درج المفسرون.

فالتفسير بيان لمعاني الفاظ القرآن العظيم.

وقول أئمة السلف: بلا تفسير: أي بلا بيان لمعاني الصفات المتشابهة المشتركة.

لا سيما وأقوال الأئمة نصت على امرار الصفات بدون معاني ولا تفسير وجعلوا مجرد القراءة تفسير لها.

والكيفية:

واصله من (كيف) وَهُوَ لِلِاسْتِفْهَامِ عَنِ الأَحوال، الْكَيْفِيَّة: عبارَة عَن الهيئات والصور وَالْأَحْوَال[2].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ١١).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (٧٥٢).

Сканировано с CamScanner

.....

والكيفية إِن اخْتصّت بذوات الْأَنْفس تسمى كَيْفيَّة نفسانية كَالْعلمِ والحياة[١].

والكيفية: يسأل فيها عن صفة معينة لحال معين كما هو متقرر.

واتضح بهذا التقرير أن معنى التفسير مغاير تمامًا لمعنى الكيفية.

فلا يقال أن المقصود بقول الأئمة (بلا تفسير: نفي الكيفية ـ ثم يكرر الأئمة لفظ (بلا كيف) وهذا مما لا يصح في اللغة، فهذا مما لا يعرف في كلام العرب، ولم يقل به أحد.

فإن قيل إن المقصود بنفي التفسير: أي نفي التأويل.

قلنا: هذا لا يصح لما قدمنا من معنى التفسير وأنه: بيان معاني القرآن، وذكر الأئمة للفظ: (بلا تفسير) أي بلا بيان لمعنى الصفة، واليك بعض أقوال الأئمة المنصوص عليها في كتبهم والتي لا تقبل التأويل.

١ ـ قال أبو عبدالله: ونحن نؤمن بالأحاديث في هذا ونقرها، ونمرها كما جاءت بلا كيف، **ولا معنى إلا على ما وصف به نفسه تعالى**، نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة، ونعوذ بالله من الزلل، والارتياب والشك إنه على كل شيء قدير[٢].

٢ ـ وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه: «قبل موته بيوم عن أحاديث الصفات فقال: تمر كما جاءت ونؤمن بها ولا نرد منها شيئًا إذا كان بأسانيد صحاح، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، **ومن تكلم بمعناها ابتدع**»[٣]..

٣ ـ قال أبو عبيد القاسم بن سلام وذكر عنده هذه الأحاديث التي في الرؤيا، فقال: «هذه

---

(١) الابانة (٧/ ٦٠).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٥٨).

(٣) اعتقاد الإمام المنبل أحمد بن حنبل لابي الفضل التميمي (٨٧).

Сканировано с CamScanner

.....

عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا: فسروها، قلنا: لا نفسر منها شيئا، ولكن نمضيها كما جاءت»[1].

* * *

* إيراد وجوابه..

فإن قيل: هذا يدلُّ على أنهم يُثبِتون لها معنىً مِن وجهَين:

أولًا: أنهم قالوا: «أمِرُّوها كما جاءت»، ومعلومٌ أنها ألفاظٌ جاءت لمعانٍ، ولم تأتِ عبثًا.

فإذا أمررناها كما جاءت؛ لزِمَ من ذلك أن نُثبتَ لها معنًى.

ثانيًا: قولُهم: «بلا كيفٍ»؛ لأن نفيَ الكيفيَّة يدل على وجودِ أصل المعنى، لأنَّ نفي الكيفيَّة عن الشَّيء لا يوجدُ لغوٌ وعبث. إذن: فهذا الكلامُ المشهورُ عند السَّلف يدلُّ على أنهم يُثبِتونَ لهذه النُّصوص معنى.

قلنا: جوابه من أوجه:

الأول. قولهم: معلوم أنها ألفاظ جاءت لمعان، ولم تأت عبثًا.

وهذا لا يخالف فيه أحد وهي لها معانٍ، إلا أن معناها استأثر الله بعلمه كما تقدم ودليل ذلك قوله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. والوقوف عليها تام واجب، وقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. فالواو ههنا للاستئناف، وليست عاطفة، وهو ما قرره الصحابة والتابعون لهم بإحسان ﷺ.

(١) التحرير والتنوير (١/ ١١).

Сканировано с CamScanner

.....

ويؤكد ذلك:

دليل آخر: هو أقوال الأئمة التي نصت على عدم الخوض في المعنى كما تقدم[١].

الثاني: قولهم: لأن نفي الكيفية يدل على وجود أصل المعنى.

١ ـ هذا كلام مرسل لم يدل عليه دليل من الشرع أو اللغة، ولا يسلَّم له.

٢ ـ أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ لم يخوضوا في معانيها، ونهوا عن ذلك، فلزم أن نقف على ما وقفوا عليه.

الثالث: أن معنى عبارة: (التفسير) في نصوص الأئمة ـ كما تقدم ـ في أصل وضع اللغة العربية وعند المفسرين هي: بيان معاني الفاظ القرآن[٢].

والأئمة: في رواياتهم نهوا عن التفسير وشددوا على ذلك بل بدعوا من خاض في المعنى.

الرابع: بيَّن الأئمة ـ رحمهم الله ـ أن مجرد القراءة لآيات وأحاديث الصفات هو تفسير لها، ولو لم يكن مرادهم ذلك، لما احتاج الأئمة بيانه بعد قولهم (بلا تفسير ولا كيف، وقراءتها تفسيرها).

ومن قال بأن المراد نهيهم عن التفسير أي الكيفية: فقد نسب إليهم الجهل باللغة ومقتضياتها وهذا ممتنع في حقهم لا سيما وأنهم قد أجمعوا على هذه الروايات.

والملاحظ لأقوال الأئمة أنهم شددوا على ثلاثة أمور هي عدم اثبات معنى خاص بالصفة، وعدم تأويلها، وعدم تكييفها.

وبهذا يتقرر معنى قول المصنف:

---

(١) انظر ص (٥٤) و(٧٤) و(٧٥).

(٢) انظر الصفحة (٧٧).

Сканировано с CamScanner

.....

كلهم متفقون على الإقرار والإمرار دون التعرض للمعنى والإثبات الوجودي، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويلها، ولا تكييفها وأن قراءتها تفسيرها.

قوله: **وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم.**

الاقتفاء: وَ(اقْتَفَى) أَثَرَهُ وَ(تَقَفَّاهُ) أَيْ تَبِعَهُ[١].

لآثارهم: الأثر: والمراد هنا أعم من رواية الأحاديث، فيكون اتباع آثارهم في الاعتقاد والقول والعمل.

والاهتداء بمنارهم: الاهتداء من الهدي: الهُدى، بضمِ الهاءِ وفتحِ الدالِ: الرَّشَادُ، والدَّلالةُ ويُذَكَّرُ، والنهارُ.

هَداهُ هُدًى وهَدْيًا وهِدَايَةً وهِدْيَةً، بكسرهما: أَرْشَدَهُ، فَهَدَى واهْتَدَى، وهَداهُ اللهُ الطَّريقَ[٢].

المنارة: العَلَم، والجميع منار سميت بذلك لأنها يهتدى بها[٣].

وقد دل القرآن على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) مختار الصحاح (٢٥٨).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١٠/ ٦٧٩٤).

(٣) القاموس المحيط (١٣٤٥).

Сканировано с CamScanner

.....

.....

قوله: **وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات.**

حذر: تيقظ واستعد وَالشَّيْء، وَمِنْه خافه وَاحْترز مِنْهُ فَهُوَ حاذر وحذر وَالشَّيْء مَحْذُور ومحذور مِنْهُ.

(حذره) الشَّيْء وَمِنْه: خَوفه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨ و٣٠][1].

والمحدثات: جمع محدثة: وهو كونُ شيْءٍ لم يَكُنْ[2].

الضلالات: جمع ضلالة: وهي من الضلال: كل من ينحرف عَن دين الله الحنيف وَيُقَال هُوَ ضال[3].

معنى قول المصنف رحمه الله:

أن الشرع خوفنا من العمل بشيء لم يكن معهودا في الشرع، وخوفنا من الإنحراف عن صراط ديننا الحنيف.

قوله: **فقال النبي ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».**

قوله: **عليكم**: اسم فعل أمر: وهو من صيغ الوجوب.

قوله: **سنتي**: والمراد بها عموم الشريعة.

ومعنى: عليكم بسنتي: أي الزموا سنتي وطريقتي التي تركتكم عليها.

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥٤٣).

(٢) لسان العرب (٢/ ١٣١).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ١٦٢).

Сканировано с CamScanner

.....

قوله: **وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**: والزموا سنة أصحابي الذين سيخلفوني من بعدي الذين التزموا سنتي وطريقتي.

والمراد بهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قوله: **عضوا عليها بالنواجذ**: كناية عن اللزوم: لَزِمَه واسْتَمَسَكَ به فقد خرجت كلماته عن معناها الأصلي إلى هذا المعنى البلاغي.

ومعناه: لزوم سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والتمسك بها بشدة وتمسكًا صحيحًا.

قوله: **وإياكم ومحدثات الأمور**:

أي تحذير النبي ﷺ الوقوع في المحدثات في الدين، لأن نتيجة ذلك البدع.

قوله: **فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**.

والبدع: جمع بدعة: وهي الاختراع على غير مثل سابق.

وتقسم إلى قسمين:

بدع دنيوية: وهي التي يحتاجها الناس في كل عصر، وقد تصل إلى الوجوب، أو الاستحباب، أو التحريم.

وبدع شرعية: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل يدل عليه، فليس بدعة شرعًا وإن كان بدعة لغة.

وسياق كلام المصنف واستدلاله دل على أن مراده البدع العقدية، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة، لأن الحديث جاء في سياق التزام قانون السلف في الاعتقاد في مسائل الأسماء والصفات.

Сканировано с CamScanner

.....

قوله: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

هذه وصية ابن مسعود رضي الله عنه قد كفى الله تعالى عباده المسلمين، أن نحدث، أو نبتدع شيئًا في الدين، وأن نقول ما لم يقله جل وعلا.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. يعني يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم الفرائض والسنن، والحدود والجهاد، والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض.

قوله: **قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا.**

والمقصود بهم الصحابة رضي الله عنهم.

قوله: **ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم.**

أي كانوا أقوى على كشف المحدثات والبدع، لقربهم بعهد النبوة.

وهو رد على من يقول حدث بعدهم، أي البدع والمحدثات.

أن السبب في حدوث البدع بعدهم لمخالفة هدي الصحابة رضي الله عنهم أئمة الإسلام والسنة، وترك السنة.

قوله: **فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.**

ومعنى ذلك، أن من تجاوزهم محسر لا يملك أدلة على ما ابتدعوه.

ومعنى ما دونهم مقصَّر: وويقصد بذلك المفرطين.

Сканировано с CamScanner

.....

.....

ولقد فسرتها العبارة التي أتت بعدها، بقوله: لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

قوله: **عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس.**

وصية الأئمة لم تختلف، وهذه وصية الامام الاوزاعي وما أعظمها من وصية وهي التمسك بأثار من سلف.

والأثر:

أ ـ لغة: بقية الشيء.

ب ـ اصطلاحا: فيه قولان؛ هما:

١ ـ هو مرادف للحديث: أي أن معناهما واحد اصطلاحا.

٢ ـ مغاير له: وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال.

والتمسك بأثار الصحابة والتابعين حتى لو لم يتقبل الناس ذلك لأن الغاية في الاعتقاد رضى الله سبحانه، وهذا ظاهر اليوم التمسك بما عليه الصحابة والتابعين في مسائل العقيدة هو النجاة.

قوله: **وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.**

أي وإياك آراء الرجال في مسائل الاعتقاد التي لا يدل عليها دليل ولم يتكلم بها صحابي واحد.

هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن محمد الأذرمي، وهو شيخ النسائي وأبي داود من أصحاب كتب الصحاح في الحديث.

Сканировано с CamScanner

.....

ولقد كان له موقف مشرف من بدعة المعتزلة في القول بخلق القرآن الكريم، هؤلاء المعتزلة الذين كانوا يسمون كل من خالفهم هذا الرأي من أهل العلم بأنه زنديق يُستحل دمه، أو تعذيبه أو سجنه على الأقل، وكان أول من نادى بهذه البدعة على عهد الخليفة المأمون هو أحمد بن أبي دؤاد وكان من المقربين للخليفة المأمون الذي ـ اعتنق فكر المعتزلة ـ رغم كونه من أكثر خلفاء المسلمين قاطبة مطالعة ومدارسة للعلم بفروعه المختلفة.

قصة مناظرة الأذرمي مشهورة عند العلماء

وهي أخصر مناظرة:

«قال طاهر بن خلف: سمعتُ محمد بن الواثق ـ الذي كان يُقال له المهتدي بالله ـ يقول: كان أبي إذا أرادَ أن يَقتل رجلاً أحضرنا ذلك المجلس، فأتي بشيخ مخضوبٍ مُقيَّد. فقال أبي: ائذنوا لأبي عبدالله وأصحابه ـ يعني ابن أبي دُؤاد ـ قال: فأدخل الشيخ. فقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلَّم الله عليك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، بئسَ ما أدَّبك مؤدِّبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]. والله ما حييتني بها، ولا بأحسن منها، فقال ابن أبي دُؤاد:

يا أمير المؤمنين، الرجل مُتكلم.

فقال له: كَلِّمه.

فقال: يا شَيخ، ما تَقول في القُرآن؟ قال الشيخ: لم تُنصِفني، وَلِّني السؤال، فقال له: سَل:

فقال له الشيخ الآذرمي: ما تقول في القرآن؟

قال ابن ابي دؤاد: مَخلوق.

Сканировано с CamScanner

.....

فقال الآذرمي: هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعُمر وعُثمان وعَلي والخلفاء الراشدون، أم شيء لم يعلموه؟

فقال ابن ابي دؤاد: شيء لم يعلموه[١].

فقال الآذرمي: سبحان الله! شيء لم يَعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عُمر وعُثمان وعلي والخُلفاء الراشدون، ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وَسعك ما وَسعهم؟! ثم دعا عَمّاراً الحاجب، فأمر أن يرفع عنه القيود ويُعطيه أربع مئة دينار، ويأذن له في الروع، وسَقط من عينه ابنُ أبي دُؤاد، ولم يمتحن بعد ذلك أحداً»[٢].

انتهت المناظرة.

قال الموفق رحمه الله وما أحسن مقولته: **وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها ولإمرارها كما جاءت، فلا وسع الله عليه.**

(١) في هذا حجة على المبتدع، ولا شك أن هذا الكلام هو نسبة الجهل للنبي ﷺ واصحابه حاشاهم.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٤٧٥).

Сканировано с CamScanner

ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الصفات

.....

تقدم في بداية الشرح أن مذهب الحنابلة العقدي في آيات الصفات انها من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله تعالى، لظهور تشبيه واشتراك لفظي في صفات الله تعالى الخبرية.

وقد أورد المصنف رحمه الله بعضًا من هذه الآيات.

Сканировано с CamScanner

(إثبات صفة الوجه لله تعالى)

فمما جاء من آيات الصفات قول الله ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قوله: **فمما جاء من آيات الصفات قول الله ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾** [الرحمن: ٢٧].

صفة الوجه ثابت لله تعالى بنصوص القرآن والسنة.

قال سبحانه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. وهو صفة ثابتة لله تعالى زائدة على ذاته.

وزعم المعتزلة أن المراد بالوجه في الآيتين الذات، وليست صفة زائدة على الذات.

ودليل الحنابلة القائلين بمذهب السلف على ثبوت صفة الوجه وأنه صفة زائدة على الذات وابطال قول أهل التأويل من وجوه:

الأول. نصوص القرآن والسنة دلت على ثبوته.

الثاني. اجماع اهل اللغة على أن تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات، وقد ثبت ذلك في عرف الناس وعاداتهم في الخطاب العربي[1].

فإذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب أن يحمل الوجه في حق البارئ على وجه يليق به صفة زائدة على تسمية قولنا ذات.

الثالث. قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال (ذو الجلال) ولو كان ذكر

---

(١) انظر الايضاح لابن الزاغوني (٢٨٢).

Сканировано с CamScanner

.....

الوجه ولم يكن صفة للذات لقال ذي الجلال، فلما قال ذو الجلال علمنا أنه نعت للوجه صفة للذات[١].

وقد نص علماؤنا على اثبات صفة الوجه ونقلوا مذهب الإمام منهم:

أبو الفضل التميمي رحمه الله قال:

«ومذهب أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أن الله عزوجل وجهًا لا كالصور المصورة والأعيان المخططة: بل وجه وصفه بقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

ومن غير معناه فقد ألحد عنه وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز.

ووجه الله باقٍ لا يبلى، وصفة له لا تفنى، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد ومن غير معناه فقد كفر، وليس معنى وجه معنى جسم عنده ولا صورة ولا تخطيط ومن قال ذلك فقد ابتدع»[٢].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله:

وقد وصف الله تعالى نفسه سبحانه بالوجه، فقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. وليس بجارحة، وهو صفة زائدة على ذاته، خلافًا للمجسمة في قولهم أن وجه الله جارحة مخصوصة كوجه الواحد منّا، وخلافًا للمعتزلة وجماعة من الأشعرية أن وجهه ذاته، وليس بصفة زائدة على ذاته»[٣].

---

(١) لوامع الانوار البهية (١/ ٢٢٦).

(٢) اعتقاد الإمام المنبل للتميمي (١٧).

(٣) مختصر المعتمد للقاضي أبي يعلى (٥٤).

Сканировано с CamScanner

.....

وبهذا يتقرر أن صفة الوجه ثابتة لله ﷻ، لا يجوز تعطيلها أو تأويلها لما تقدم، ولا تشبيهها، ولا يجوز تفسيرها لأنها من الصفات المتشابهة والمشترك اللفظي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ولا يلزم أن يكون عضوا وجارحة ذات كمية وكيفية وهو باطل.

Сканировано с CamScanner

(إثبات صفة اليدين لله تعالى)

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: **وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** [المائدة: ٦٤]. وصف الله ﷻ نفسه باليدين في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١]. وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وفي الحديث: «فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه رحمتي سبقت غضبي»[(٢)].

واليدان هما صفة ذاتية خلافا للمجسمة في قولهم انهما جارحتين، وخلافا للأشاعرة انها نعمة وقدرة.

ويبطل قول من قال بأنهما جارحتين، أنهما صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بها الكتاب والأخبار الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وأما قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فلا يحمل على الجارحة لأن البارئ واحد لا يتبعض.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٣٤). ومسلم (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٣). وابن ماجه (٥/ ٣٥٣). والترمذي (٥/ ٤٤١).

Сканировано с CamScanner

.....

ويطبل قول من قال بأنها نعمة وقوة.

لأن جمع يد آيد، وجمع تلك آياد، ولو كانت اليد عنده القوة لسقطت فضيلة آدم وثبتت حجة إبليس.

وأيضا فقدرة الله واحدة لا تدخلها التثنية والجمع.

ولو أراد باليد النعمة لقال لما خلقت ليدي لأنه خلق لنعمة لا بنعمة.

وقد قَالَ أَحْمَد رضي الله عنه فِي رواية الميموني: من زعم أن يداه نعماه كيف يصنع بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

Сканировано с CamScanner

(إثبات صفة النفس لله تعالى)

وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١٦٦].

وقوله: تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وذهب الإمام أحمد رضي الله عنه أن لله تعالى نفسًا وقرأ أحمد بن حنبل ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقال الله عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤][1]. وَقَوله ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١][2]. وليست كنفس العباد التي هي متحركة متعددة مترددة في أبدانهم، بل هي صفة له في ذاته خالف بها النفوس المنفوسة المجعولة وفارق الأموات[3].

ومن الصفات المتشابه صفة النَّفس وهي صفة زائدة على الذات دليل ذلك:

قَوْله تَعَالَى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وَقَوله ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. وَقَوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. ومن السنة قول النبي ﷺ عَن الله تعالى «فَإِن ذَكرنِي فِي نَفسه ذكرته فِي نَفسِي»[4].

واثبات صفة النفس ليس فيه مَا يحيل صفاته وَلا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت نفسا منفوسة مجسمة مركبة ذات روح، وَلا نثبت نفسا بمعنى الدم عَلَى مَا تقوله العرب: لَهُ

---

(١) ابطال التأويلات (١/ ٤٤٤).

(٢) الاعتقاد المنبل لأبي الفضل التميمي (٤٤).

(٣) المصدر نفسه (٤٤ ـ ٤٥).

(٤) متفق عليه.

Сканировано с CamScanner

.....

نفس سائلة وليست لَهُ نفس ويريدون بذلك الدم، لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ يتعالى عَن ذلك، بل نثبت نفسا هِيَ صفة زائدة عَلَى الذات، كَمَا أثبت لَهُ حياة ونفسا فقلنا حي بحياة، وباقي ببقاء، وإن لَمْ يكن حياته وبقاءه عرضين كحياتنا وبقائنا، كذلك فِي النفس[١].

وقالوا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

تعلم مَا أخفيه فِي نَفسِي وَلَا أعلم مَا تخفيه من معلوماتك وَقَوله ﴿فِي نَفْسِكَ﴾. للمشاكلة والمشاكلة وَإِن ساغت هُنَا لَا تسوغ فِي غَيره وَمثله فَإِن ذَكرنِي فِي نَفسه ذكرته فِي نَفسِي أَي حَيْثُ لَا يعلم بِهِ أحد وَلَا يطلع عَلَيْهِ[٢].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه.

(٢) أقاويل الثقات (١٨٧). وفتح الرحمن في تفسير القرآن (٢/ ٣٦٦).

Сканировано с CamScanner

إثبات صفة المجيء والإتيان لله تعالى

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله: وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ومن المتشابه المجيء، قَوْله تَعَالَى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. وَقَوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فمذهب السلف في هذا وأمثاله السكوت عن الخوض في معناه، وتفويض علمه إلى الله تعالى.

والمراد بقول الله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. مجيء ذاته لا عَلَى وجه الانتقال.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. المراد به مجيء ذاته لا عَلَى وجه الانتقال.

واحتج أهل التأويل بما روي عن ابن عباس فِي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. قَالَ: يأتيهم بوعده ووعيده قيل له: ولم يقل إنه لا يأتي ذاته فيحتمل أن يكون تأتي ذاته بوعده ووعيده وهكذا قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. معناه مجيء ذاته، لأن حمله عَلَى مجيء الأمر والملك يسقط فائدة التخصيص بذلك اليوم لأن أمره سابق، ولأن هَذَا يوجب تأويل «ترون ربكم»، ولأنه ليس فِي حمله عَلَى ظاهره ما يحيل صفاته لأنا لا نثبت مجيء انتقال، بل نثبت مجيئا غير معقول كما أثبتنا ذاتًا ونفسًا ووجهًا ويدًا[1].

---

(١) ابطال التأويلات (١/ ١٣١ ـ ١٣٢).

Сканировано с CamScanner

وقد ذهب بعض الأصحاب إلى أن قدرته تأتي والأول أصح[١].

(١) تحفة الوصول إلى علم الأصول (٩٨).

Сканировано с CamScanner

(إثبات صفة الرضى والمحبة والغضب والسخط لله تعالى)

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

قوله: وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].. وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

ومن المتشابه صفة الرضا والمحبة والغضب والسخط والكره.

وهي من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى، لا تشبه صفات المخلوقين ولوازمها، ولا نتأولها، وليست هي الإرادة والمشيئة.

*اثبات صفة الرضى لله تعالى:

وقد جاز وصف الله تعالى بالرضى لما ثبت في النصوص دون تمثيل ولا تشبيه؛ لأن صفة الرضا في المخلوق: هو سرور القلب بالقضاء، وعدم الجزع[1]. وهذا محال في حق الله تعالى.

وهي صفة لله على الحقيقة من غير تكييف، ولا تفسير، وليست ارادته ومشيئته.

---

(١) التعريفات، الجرجاني (١١١). التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (١٧٨).

Сканировано с CamScanner

.....

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. فَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٨]؛ بين أنه رضي عنهم هذا الوقت فإنَّ حرف (إذ) ظرف لما مضى من الزمان؛ فعلم أنه ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وأثابهم عليه والمسبب لا يكون قبل سببه والموقت بوقت لا يكون قبل وقته؛ وإذا كان راضيا عنهم من جهة فهذا الرضى الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذ كما ثبت في الصحيح أنه يقول كما ثبت في الصحيح أنه يقول لأهل الجنة: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ رَضِيتُمْ؛ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» وهذا يدل على أنه في ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يتعقبه سخط أبدا. ودل على أن غيره من الرضوان قد يتعقبه سخط»[1].

* اثبات صفة المحبة:

وجاز وصف الله تعالى بالمحبة بدليل ما جاء في كتاب الله تعالى منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله: ﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقوله: ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وقوله: ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]. ومشيئته وإرادته تعالى

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٤). والملاحظ أن تقي الدين رحمه الله تعالى اثبت الصفة وفسرها بلوازمها التي ساقها في الآية والحديث.

Сканировано с CamScanner

.....

.....

ليستا بمعنى محبته.

وزعم قوم بأن المحبة هي الإرادة، وبطلان ذلك:

أن الإرادة غير المحَبَّة والرضا، فقد يريد ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه.

وقالت المعتزلة والجهمية:

من أراد شيئًا فقد أحبّه ورضيه، وأنّ الله تعالى رضي المعصية والكفر[1].

وجواب ذلك:

إن النصوص قد صرَّحت بأن الله تعالى لا يرضى الكفر والفسوق والعصيان، ولا يحب ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧]. ومذهب السلف وأهل الحديث وعامة الأئمة من الفقهاء:

يقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وإن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ويرضى به، كما يأمر به، ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، ولا يحبه، كما لا يأمر به، وإن كان قد شاءه، ولهذا كان حملة الشريعة من السلف والخلف متفقين على أنه لو حلف: ليفعلن واجبًا أو مستحبًا: كقضاء دين تضيق وقته، أو عبادة تضيق وقتها، وقال: إن شاء الله، ثم لم يفعله، لم يحنث[2].

فصفة المحبة ثابتة لله تعالى وهي صفة فعل حقيقية على ما يليق به سبحانه، فلا تستلزم

---

(١) الارشاد للجويني (٢١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٧٦).

Сканировано с CamScanner

.....

التشبيه والنقص وهي صفة حقيقية نثبتها على ما وردت في النص، ونثبت لازم صفة المحبة وهي إرادة الله عزوجل لما يفعل بنا من المنافع والمصالح والنعم وارادته اكرام من يحبه ويشيه، فمن أحبه أكرمه فعلا وليس أراد أن يكرمه.

* اثبات صفة الغضب والسخط والكره:

قوله: وقوله تعالى في الكفار: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

القاعدة في الصفات:

القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

مثلما سبق القول في صفة الرضى وصفة المحبة، فالقول ههنا في صفة الغضب والسخط والكره، وليست هي الإرادة والمشيئة.

فوصف الله نفسه بالغضب، وهي صفة فعل حقيقية، لا تستلزم التمثيل ولا النقص، ولا يجوز تأويلها، وصرفها عن ظاهرها.

والمراد بصفة الغضب إحلال العقوبة والعذاب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

«فإن كان المخاطب ممن يقول: بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته، فيجعل ذلك مجازا ويفسره، إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما

Сканировано с CamScanner

.....

كالقول في الآخر، فإن قلت: أن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه. وهذا هو التمثيل وإن قلت: أن له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به وإن قلت: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة فإن قلت: هذه إرادة المخلوق قيل لك: وهذا غضب المخلوق»[1].

❁ ❁ ❁

(١) الرسالة التدمرية (٢٢).

Сканировано с CamScanner

إثبات صفة العجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

ومن السنة، قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا»(١). وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»(٢).

قوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»(٣).

ومن صفات فعل الاختيارية، صفة العجب.

وصْفُ الله بالعجب ثبت في عدة نصوص فيجب الإيمان بها مع اعتقاد تنزيه الله عن الشبه بخلقه.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

قال ابن جرير: قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم التاء من عَجِبْتَ؛ بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكًا وتكذيبهم تَنْزيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة والبصرة وبعض قرَّاء الكوفة عَجِبْتَ؛ بفتح التاء؛ بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن، فمعنى القراءتين واحد.

وقد قال ﷺ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ»(٤).

---

(١) متفق عليه. وتقدم تفصيل ذلك في ص٥٢ ـ ٥٣.
(٢) رواه أحمد في المسند (٢٨/ ٦٠٠).
(٣) الرسالة التدمرية (٢٢).
(٤) رواه البخاري (٤/ ٦٠).

Сканировано с CamScanner

.....

والمراد بالعجب: انفعال يحدث فِي النَّفس عِنْد الشُّعُور بِأَمْر خَفِي سَببه[١].

وهذا المعنى لا يليق بالله تعالى ولهذا يقال إذا ظهر السبب بطل العجب فلا يطلق على الله أنه متعجب لأنه لا يخفى عليه شيء.

فالله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومثل ما ذكر في ما مضى من الصفات، فرحمته ليست كرحمة المخلوق، ورضاه ليس كرضى المخلوق، ومثله يقال في صفة العجب فليست كصفة العجب عند المخلوق.

وصفة العجب ثابتة حقيقية تليق بالله تعالى، وليست كصفة العجب عند المخلوقين وتفسر بلازمها.

قال القاضي رحمه الله:

«أعلم أن الكلام فِي هَذَا الحديث، كالكلام فِي الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذَلِكَ عليه، وحمله عَلَى ظاهره إذ ليس فِي ذَلِكَ ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت عجبا هو تعظيم لأمر دهمة استعظمه لم يكن عالما به، لأنه مما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذَلِكَ صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته فإن قيل: المراد به تعظيم ذَلِكَ وتكثيره عند أهله حثًا عَلَى فعلها، وترغيبًا فِي المبادرة إليها، ويحتمل أن يكون المراد به الرضا له والقبول، لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه، ولا يصح أن يعجب مما يسخطه ويكرهه»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) اقاويل الثقات (١٤٧).

(٢) ابطال التأويلات (٢٤٥ ـ ٢٤٦).

Сканировано с CamScanner

إثبات صفة الضحك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة»[١].

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته،.....

قوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة»[٢].

القول في صفة الضحك كالقول في ما مضى من الصفات، باعتبار القاعدة القول في الصفات كالقول في باقي الصفات.

فصفة الضحك لله تعالى ثابتة في السنة، على ما يليق بربنا جل وعلا من غير تشبيه ولا تأويل، ولا تكييف.

فلا نثبت ضحكا هو فتح الفم وتكشير شفتين وأسنان، ولا نثبت أضراسا ولهوات هي جارحة ولا أبعاضًا، بل نثبت ذَلِكَ صفة كما أثبتنا الوجه واليدين والسمع والبصر، وإن لم نعقل معناه، ولا يجب أن نستوحش من إطلاق هَذَا اللفظ إذا ورد به سمع، كما لا نستوحش من إطلاق ذَلِكَ فِي غيره من الصفات[٣].

قوله: فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدِّلت رواته.

هذا شرط لقبول الأحاديث التي وردت فيها صفات الباري ﷻ، وهو أن يكون صحيح الاسناد، ورواته عدول، أي بشروط الحديث الصحيح التي ذكرها أئمة الحديث، لأنه ذكر تعديل الرواة بعده، فهو تأكيد على الشرط.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) ابطال التأولات (٢١٨).

Сканировано с CamScanner

نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين،.....

وما ضعف سنده فليس بحجة.

قوله: **نؤمن به. ولا نرده ولا نجحده.**

أي كل ما ثبت عن النبي ﷺ نصدق به وما دلت عليه الاحاديث من الصفات ونعتقد به اعتقادًا جازمًا لا يقبل الشك.

ونقبله ولا نعترض عليه ولا نرفضه، ولا ننكره ولا نكذبه.

قوله: **ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره.**

أي ولا نصرف النصوص ونحرفها عن ظاهرها المراد.

قوله: **ولا نشبهه بصفات المخلوقين.**

فلا نقول سمعه كسمع خلقه، ولا بصر كبصر خلقه، ولا نزوله كنزول خلقه.

قوله: **ولا بسمات المحدَثين.**

السمات جمع سِمَة: وهي العلامة أو الوصف، وهي مشتقة من الاسم.

وتكون في الدابة.

المحدَثين: جمع حادث، وكل حادث بعد أن كان معدومًا، وهو معرض للعدم، والمحدثون هم المخلوقون.

فالله سبحانه منزه عن صفات المخلوقين وصفات المحدثين.

Сканировано с CamScanner

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

قوله: ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الله سبحانه ليس له ند، ولا مثيل ولا مساوٍ.

وقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هذه الآية جمعت عقيدة الأسماء والصفات، فنفى الله تعالى الشبيه عن ذاته، وأثبت له السمع والبصر.

والقول في هذه الآية، كالقول في باقي الصفات.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]. في ذاته كما وصف به نفسه، قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة، ليس يشبهه شيء، فيعبد الله تعالى بصفاته، غير محدودة، ولا معلومة، إلا بما وصف به نفسه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله: وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

بيان لمعتقد الحنابلة فيما مرَّ من الأدلة، وهي الإيمان بها وعدم ردها، وانكارها وعدم تأويها بما يخالف ظاهرها، ومن غير تشبيه، وتوصيف المبتدعة.

وكل ما تصور وخطر في الذهن من الصفات والكيفيات والمعاني فالله جل وعلا بخلاف ما تصوره وتخيله.

لأن عقول الخلق لا تدرك كُنه صفات الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

Сканировано с CamScanner

(ما جاء في اثبات صفة الاستواء والعلو)

من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قوله: **من ذلك.**

أي: مما جاء من آيات الصفات **قوله تعالى** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. من الصفات التي يثبتها الحنابلة صفة الاستواء.

والكلام على ذلك يشتمل على مباحث:

الأول: ما نطق اللفظ به وهو الاستواء على العرش.

فقد وصف الله تعالى نفسه بالاستواء في سبع آيات في كتابه العظيم.

والواجب اعتقاده أن الله مستوٍ على عرشه وهي من صفات الذات، بلا كيف على ما يليق به جل وعلا، ودون تأويل، ولا نعطله، ولا نفسره، ولا نعينه، وليس على سبيل القعود والمماسة[1].

الثاني: معنى الاستواء.

لم يختلف أصحابنا الحنابلة أن الله مستوٍ على عرشه واختلفوا في صفته[2].

---

(١) نهاية المبتدئين (٣٢).

(٢) قال القاضي رحمه الله: «فذكر أبو الحسن التميمي أن هذا الاستواء لا بمعنى المماسة ولا مباينا له. وقال شيخنا أبو عبدالله (ابن حامد): الاستواء بمعنى المماسة وأنه قاعد على عرشه. وهو قول عبد الوهاب. قال شيخنا أبو عبدالله: أحمد قد اثنى على عبد الوهاب وقال: هو إمام، وذلك وأن اطلاق الاستواء في لغة العرب هو ما ذكرنا فيجب أن يحمل عليه. وما ذكره أبو الحسن التميمي أصح وهو أشبه بكلام أحمد، لأن كل من نقل عن أحمد نقل الاستواء مطلقا من غير ذكر مماسة، ولأن المماسة والمباينة=

Сканировано с CamScanner

.....

والذي عليه الإمام رحمه الله وعامة الحنابلة اثبات صفة الاستواء وحمل النص على الاطلاق لأنه من المتشابه، وانه استوى على العرش، فالواجب اعتقاده على ما ورد به النص وتفويض معناه[١]، بلا تكييف، ولا تشبيه ولا تفسير، ولا تأويل، فلا يقال استولى كما قالت الأشاعرة.

وهذا معنى ما قاله حنبل: قال الإمام أحمد: نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش كيف شاء، وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد[٢].

وقد دل على ذلك أثر أم سلمة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر والسؤال عنه بدعة[٣].

قال الموفق شارحًا لأثر أم سلمة:

= تستحيل عليه لأنها من صفات الحدث فلم يجوز اثباتها عليه». كتاب الروايتين والوجهين في العقيدة لابي يعلى ص٥٢.

(١) قال مرعي الكرمي رحمه الله: «وذكرت في كتابي البرهان في تفسير القرآن عند قوله تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وبعد أن ذكرت مذاهب المتأولين أن مذهب السلف هو عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه إلى الله تعالى قال ابن عباس هذا من المكتوم الذي لا يفسر فالأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى وعلى ذلك مضت أئمة السلف» أقاويل الثقات (٦٢).

(٢) انظر نصوص اعتقاد الحنابلة في الاستواء: مختصر المعتمد (٥٦) وكتاب الروايتين والوجهين (٥٢) وابطال التأويلات (٧٢). والايضاح (٢٩٩). واعتقاد الامام المنبل للتميمي (٣٨). واقاول الثقات (١٢٢). والعين والأثر (٣٥). ولوامع الانوار البهية (١/ ١٩٦). وذم التأويل (١٣). والغنية لطالبي الحق (١/ ١٢٤). ونهاية المبتدئين (٣٢)

(٣) ذم التأويل (٢٦).

Сканировано с CamScanner

.....

«وقولهم **الاستواء غير مجهول**: أي غير مجهول الوجود لأن الله تعالى أخبر به وخبره صدق يقينا لا يجوز الشك فيه ولا الإرتياب فيه فكان غير مجهول لحصول العلم به وقد روي في بعض الألفاظ الاستواء معلوم.

وقولهم **الكيف غير معقول**: لأنه لم يرد به توقيف ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف.

والجحود به كفر: لأنه رد لخبر الله وكفر بكلام الله ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر فكيف بمن كفر بسبع آيات ورد خبر الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه والإيمان به واجب لذلك.

والسؤال عنه بدعة: لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه ولا يجوز الكلام فيه ولم يسبق في ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه[1].

وابطال قول من قال بأنه استولى:

أولًا. أن هذا التفسير لم يقل به أحد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

ثانيًا. أول من قال بتفسير الاستيلاء الجهمية والمعتزلة.

ثالثًا. بدلالة ما جاء عن أم سلمة والإمام مالك فِي قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قالت: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان، والجحود به كفر فقد صرحت بالقول بالاستواء غير معقول وهذا يمنع تأويله عَلَى العلو وعلى الاستيلاء[2].

رابعًا. اتفقت كلمة الأئمة على هذا الأثر ولم يعلم لهم مخالف فكان اجماعًا، ولو تكلموا في غير هذا المعنى لنقل إلينا..

الثاني. **الاستواء هل صفة ذات أم صفة فعل؟.**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٤ – ٥).

Сканировано с CamScanner

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»[١]. «وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»[٢]. رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة. وقال النبي ﷺ لحصين: «كم إلها تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»[٣].

واختلف قول الحنابلة في صفة الاستواء هل هي صفة فعل أو صفة ذات؟.

والأولى ترك القولين[٤]، لأن نصوص الإمام أحمد رضي الله عنه جاءت مطلقة.

قوله: وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»[٥]. «وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»[٦]. رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة. وقال النبي ﷺ لحصين: «كم إلها تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»[٧].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٧٩).
(٢) رواه مسلم (١/ ٣٨١).
(٣) رواه ابن خزيمة (١/ ٢٧٧).
(٤) قاله ابن حمدان نهاية المبتدئين (٣٣).
(٥) رواه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٧٩).
(٦) رواه مسلم (١/ ٣٨١).
(٧) رواه ابن خزيمة (١/ ٢٧٧).

Сканировано с CamScanner

.....

ساق المصنف رحمه الله أدلة على العلو[1] والفوقية.

فعلم من أن الجهة الممدوحة هي علو الله على خلقه.

والواجب اثبات أن الله تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، وليس معناه في جوف السماء، وأن السماوات تحده وتحصره وتحويه.

وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش.

والأدلة على ذلك كثيرة، وقد ذكر المصنف طرفًا منها.

وقد زعم قوم أن القائل بالجهة هو من المجسمة لأن من لازم الجهة التجسيم

ولا يستلزم القول بأن الله تعالى في السماء، أنه من المجسمة لأن لازم الجهة التجسيم وهذا وهم فاسد وظن كاذب وحدس حائد:

والجواب عمن الزم بهذا الالزام.

أولًا. بأن لازم المذهب ليس بمذهب عند أئمة أهل التحقيق، وذوي النباهة والمعرفة والتصديق، فكيف يحسن أن ينسب إلى المرء شيء من لوازم كلامه، وهو من أبعد الناس عنه بقصده ومرامه.

ثانيًا. لا يجوز أن ينسب لإنسان شيء من لازم كلامه، وهو لم يقل به، ويفر منه، وأشد الناس تنزيها لله تعالى، فلا يحد بحد يحصره ويحوطه، فإن أهل الإثبات المتبعين للمنصوص من الأخبار والآيات، ينزهون الله تعالى عن التكييف والحد، ويعتقدون أن من وصفه تعالى بالجسم، فقد كفر.

---

(١) وقد صنف الموفق رحمه الله في مسألة العلو مصنفًا مستقلًا رد فيه على من نفاه.

Сканировано с CamScanner

.....

ثالثًا. النصوص دلت على أن الله تعالى في السماء عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه.

وقال قوم إنه الله تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم وأنه سبحانه لا متصلًا به ولا منفصلًا عنه.

واحتج من قال به بأمور عقلية، ويبطل ذلك:

بأن العقل المجرد لا اعتبار له، مالم يستند إلى نقل صحيح صريح.

واحتجوا من النقل بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

والجواب عن ذلك:

أولًا. إن تفسير قول الله تعالى: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

معناه: مألوه أي معبود فإنه معبود فيهما.

ثانيًا. وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فإن الجار والمجرور متعلق بالله لأنه بمعنى مألوه أو متعلق بما بعده ولولا ذلك للزم عليه الظرفية تعالى الله عنها.

ثالثًا. لم يقل أحد من أئمة الإسلام والسنة، إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم وأنه سبحانه لا متصلًا به ولا منفصلًا عنه.

ومن قال بأن الله في كل مكان، قول باطل، يبطله لوازم منها، أن يكون الله تعالى في أماكن خبيثة ينزه الله تعالى عنها.

قوله: «**وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٨١).

Сканировано с CamScanner

.....

والحديث بطوله:

عن معاوية بن الحكم، قَالَ: كانت لي جارية ترعى غنما فِي قبل أحد والجوانية، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وإني رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني غضبت فصككتها صكة، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذَلِكَ له، فعظم ذَلِكَ علي، فقلت: يا رسول الله: ألا أعتقها، قَالَ: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: فِي السماء، قَالَ: «فمن أنا؟». قالت: أنت رسول الله، قَالَ: «أعتقها فإنها مؤمنة».

دل الحديث على:

أولًا. جواز السؤال عن الله تعالى بـ (أين).

وجه الاستدلال: لو لم يكن السؤال عن الله تعالى جائزًا لما سألها النبي ﷺ.

الثاني. اثبات أن الله تعالى في السماء. وذلك بجوابها.

الثالث: اثبات الإيمان للجارية على جوابها إقرارًا من النبي ﷺ على جوابها بأن الله في السماء بقوله اعتقها فإنها مؤمنة، ولا يلزم كون ذلك في جهة.

وقال المعتزلة والاشاعرة:

لا يجوز السؤال عنه (بأين) هو لأنه ليس فِي جهة، وإنما يصح السؤال عمن هو فِي جهة.

ولا يصح الجواب عنه بأنه فِي السماء، لأن (فِي) حقيقته للظرف والوعاء ولا يجوز وصفه بذلك.

الجواب: أن هَذَا غلط لأنه لا يمتنع جواز السؤال عنه، ولا يفضي إلى الجهة، وجواز الجواب عنه بأنه فِي السماء لا يفضي إلى الوعاء، كما جاز إطلاق القول بأنه عال عَلَى العرش

Сканировано с CamScanner

وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء. وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا...»[١]. وذكر الخبر إلى قوله: «وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك».....

ولم يفض إلى الجهة، وإن كنا نعلم أن العلو غير السفل، وكذلك جاز القول برؤيته لا في جهة وإن لم يكن مرئيا في الشاهد إلا في جهة كذلك هاهنا[٢].

قوله: **أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء**[٣].

والمراد بالكتب: التوراة والانجيل وغيرها.

أي أن مما ذكر في التوراة والانجيل من اوصاف النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم انهم يسجدون بالأرض.

استدل المصنف رحمه الله بهذا الأثر على أن الله سبحانه في السماء، كان معتقدًا عند الأمم السالفة.

بدليل ذكر السجود على الأرض وأن الله تعالى في السماء.

عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والمزن» قالوا: والمزن، قال: «والعنان» قالوا: والعنان. قال أبو داود: «لم أتقن العنان جيدا» قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٣١).

(٢) ابطال التأويلات (١/ ٢٣٤).

(٣) أورده الموفق رحمه الله مطولًا في كتابه اثبات صفة العلو بسنده.

Сканировано с CamScanner

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج.

أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك» حتى عد سبع سماوات «ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

وذكر الموفق رحمه الله: وجه الاستدلال من الحديث: وهو أن الله تعالى فوق ذلك.

قوله: **فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.**

نقل الموفق الإجماع على اثبات ما تقدم من الصفات الواردة في الأدلة التي استشهد بها، بدون رد لها، وبلا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل.

قوله: **سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].**

كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج.

قول الإمام مالك[1]. أصل في مسألة الاستواء، وتجري في باقي الصفات.

---

(١) تقدم شرح كلام الإمام مالك رحمه الله مطولًا في ص ١١٦ ـ ١١٧.

Сканировано с CamScanner

.....

فعن جعفر بن عبدالله، قال: «جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

كيف استوى قال: فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء، يعني العرق قال: وأطرق القوم، وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسري عن مالك فقال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإني أخاف أن تكون ضالا، وأمر به فأخرج[1]..

فالاستواء ليس استيلاء.

وليس مماسة وقعود.

ومن خاض في غير ذلك فقد جانب قوانين الصحابة ﷺ وابتدع.

❁ ❁ ❁

(١) شرح أصول اعتقاد السنة للالكائي (٢/ ٤٤١).

Сканировано с CamScanner

(ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم)

كلام الله ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم.....

اثبات صفة الكلام لله تعالى

مسألة كلام الله تعالى ضلت فيها الفرق التي فارقت قانون السلف وترأس الضلال ابن أبي دؤاد، وهي من أبرز المسائل التي كانت سبب محنة الإمام أحمد رضي الله عنه.

قوله: كلام الله ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم.

من صفات الله تعالى الثابتة بنص القرآن والسنة أن الله تعالى متكلم بكلام قديم.

وقوله: قديم: ضد الحديث.

ومعتقدنا في صفة الكلام:

أن الله تعالى قائل ومتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي كيف شاءغير مخلوق ولا محدث ولا حادث، بلا تكييف ولا يشبه كلام المخلوقين، يسمعه من شاء من خلقه.

قولنا: ذاتي: أي صفة ذات.

قولنا: ولا محدث. غير مخلوق. رد على الجهمية، وأصل هذا اللفظ استعملها الإمام في نفي خلق القرآن لما سئل الإمام أحمد رضي الله عنه عما احتج به حين دخل على هؤلاء، فقال: «احتجوا عليَّ بهذه الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. أي: أن القرآن محدث، فاحتججت عليهم بهذه الآية: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]. قلت: فهو سماه الذكر وقلت: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. فهذا يمكن أن يكون غير القرآن محدث، ولكن: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]. فهو القرآن، ليس هو محدثًا؛ قال:

Сканировано с CamScanner

يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله،.....

فبهذا احتججت عليهم»[١].

قولنا: ولا حادث[٢]: على قول الكرامية: «أن كلام الله حادث قائم»[٣]. حكاه القاضي بلفظ: كلام الله موجود عن عدم[٤].

قولنا: بلا تكييف ولا يشبه كلام المخلوقين، يسمعه من شاء من خلقه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لم يزل الله تعالى متكلما كيف شاء بلا تكييف».

وفي لفظ: «إذا شاء».

قال القاضي: «إذا شاء أن يسمعنا»[٥]. وظاهر قول القاضي أنه شرح عبارة الإمام إذا شاء.

قوله: يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة.

قد نص الموفق رحمه الله على أن الله يسمع من يشاء من خلقه من غير واسطة.

وهو رد على من قال بأن السماع هو العبارة وليس الكلام.

قوله: وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله.

ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال:

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٣٨).

(٢) انظر الايضاح في أصول الدين لابن الزاغوني (٣٧١) ومجموع الفتاوى (١٢/ ٧٢). وَالحادث: من (الْحُدُوثُ) بِالضَّمِّ كَوْنُ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَابُهُ دَخَلَ (أَحْدَثَهُ) اللهُ (فَحَدَثَ) مختار الصحاح (٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٧٢).

(٤) مختصر المعتمد (٨٨).

(٥) التحبير شرح التحرير (٣/ ١٣١٢).

Сканировано с CamScanner

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[(١)].

وقوله: **وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه.**

ودليل تكليمه للمؤمنين يوم القيامة قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»[(٢)].

قال أبو هريرة ﷺ في حديث طويل: أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، فيبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة....»[(٣)].

وقوله: **قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].**

وجه الاستدلال: أن الله تعالى أثبت الكلام له بقوله (كلم الله)، ثم أكد ذلك بقوله (تكليمًا).

قال الإمام أحمد ﷺ: «قال الله لموسى في كتابه حكاية عن نفسه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) رواه البخاري (٩/ ١٤٢). ومسلم (٤/ ٢٠٣٠).
(٢) رواه البخاري (٤/ ١٩٧). ومسلم (٢/ ٧٠٣).
(٣) رواه الترمذي (٤/ ٢٦٦).

Сканировано с CamScanner

وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فأثبت الله تعالى الكلام لموسى كرامة منه لموسى، وقال بعد كلامه له: ﴿تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، تأكيدًا للكلام»[١].

قال مجير الدين الحنبلي: «تكليمًا: مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان قول من يقول: خلق لنفسه كلاما في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما، وكلام الله تعالى للنبي موسى دون تكييف ولا تحديد؛ فإنه سبحانه موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات، فكذلك كلامه لا كالكلام»[٢].

وقوله: وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

أي بتكليمي إياك.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال الرسعني الحنبلي رحمه الله: «﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أسمعه كلامه من غير واسطة، وإلا فأي مزية كانت له بوصف التكليم»[٣].

قال مجير الدين رحمه الله تعالى: «من غير واسطة كما يشاء»[٤].

وقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

---

(١) المحنة لعبد الغني المقدسي (٩٩ ـ ١٠٠).
(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٢/ ٢٣٢).
(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٤٦).
(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣/ ٣١).

Сканировано с CamScanner

وقال سبحانه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ ـ ١٢].

وقوله: **وقال سبحانه:** ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

دل ذلك أن تكليم الله تعالى لموسى لم يكن مخصوصًا بموسى عليه السلام، بل من الرسل من كلم الله ﷺ.

وقوله: **وقال سبحانه:** ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء، وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بإرسال رسول إليهم[1].

قوله: **وقال سبحانه:** ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ ـ ١٢]، **وقال سبحانه:** ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]. **وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.**

وجه الاستدلال: لمن يقول: إن موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة، وإنما سمعه من غيره؛ فهذا ظاهر البطلان؛ لأنه لا يجوز لغير الله أن يقول ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وقوله ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ ـ ١٢].

وهذا معنى قول المصنف رحمه الله: وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله تعالى.

---

(١) لوامع الانوار البهية (١/ ١٣٨).

Сканировано с CamScanner

وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]. وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»(١)، روى ذلك عن النبي ﷺ وروى عبدالله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»(٢)، رواه الأئمة واستشهد به البخاري وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعا استئناسا بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: «أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك»، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى. قال كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: «بل كلامي يا موسى»(٣).

وجه الاستدلال لقول المصنف مما ذكر من الأدلة:

١. اثبات كلام الله تعالى بقوله (اذا تكلم الله).

٢. اثبات ان كلام الله بصوت لا يشبه صوت المخلوقين.

قال الشيخ الجيلاني رحمه الله:

«وهذه الآيات والأخبار تدل على أن كلام الله صوت لا كصوت الآدميين، كما أن علمه قدرته وبقية صفاته لا تشبه صفات الآدميين، كذلك صوته.

---

(١) رواه احمد في المسند (١/ ٩٠).

(٢) رواه البخاري (٩/ ١٤١).

(٣) لوامع الانوار البهية (١/ ١٣٨).

Сканировано с CamScanner

.....

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين. خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه»[1].

❁ ❁ ❁

(١) الغنية (١/ ١٣١).

Сканировано с CamScanner

(القرآن كلام الله تعالى)

القرآن كلام الله ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم،.....

قوله: القرآن كلام الله ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم.

كلام الله تعالى في الكتب التي انزلها الله تعالى التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم والقرآن، لذلك قال (ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم).

والقرآن: لغة: الجمع. تقول: قرأت الشيء قرآنًا، إذا جمعت بعضه إلى بعض.

وشرعًا: وهو كلام الله المنزل على محمد ﷺ معجز متعبد بتلاوته.

شرح التعريف:

فقولنا: كلام: لموافقته القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قولنا: كلام الله: ليخرج بذلك كلام غيره.

قولنا: المنزل: الذي أنزله الله تعالى على نبيه بألفاظه ومعانيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وخرج بقولنا: منزل:

الكلام غير المنزل كما عند الاشاعرة كلام النفس، لأنه لا يصح فيه التنزيل عنده لأنه بغير حرف وصوت..

وخرج بقولنا: على محمد ﷺ:

ما أنزل على غيره من الأنبياء.

Сканировано с CamScanner

وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين.....

خرج بقولنا: معجز:

وخرج به التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، فإن هذه لم يقصد منها الإعجاز.

ومقصود به الإعجاز، كما أنه مقصود به بيان الأحكام والمواعظ، وقص أخبار من قص في القرآن من الأمم دليل التحدي به، لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أي فأتوا بمثله إن ادعيتم القدرة فلما عجزوا تحداهم بعشر سور لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، فلما عجزوا تحداهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨]. أي من مثل القرآن، أو من مثل النبي ﷺ فلما عجزوا تحداهم بدون ذلك، لقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤]، أي فليأتوا بمثله.

قولنا: متعبد بتلاوته: لتخرج الآيات المنسوخة اللفظ سواء بقي حكمها أم لا، لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها؛ ولذلك لا تعطى حكم القرآن.

قوله: **وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين.**

عرف المصنف رحمه الله تعالى القرآن الكريم بمرادفه من أسماء القرآن وذلك من حديث رسول الله ﷺ قال: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو

Сканировано с CamScanner

نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق،.....

الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم....»[١].

قوله: **وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين.**

بدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣]، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

«ونعتقد أن القرآن كلام الله كتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ»[٢].

قوله: **منزل غير مخلوق.**

اتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل:

وقوله: منزل. ليخرج بذلك قول من قال بأنه غير منزل وقالوا ولا مفارق لذات الله تعالى ولا سمعه أحد من أحد وإنما يسمعون التلاوات فأما القرآن فلا وحقيقة النزول إنما هو لجبريل لا غير.

واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية[٣]:

منها قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]. وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ

(١) رواه الترمذي (٥/ ١٧٢).
(٢) الغنية لطالبي الحق (١/ ١٢٧).
(٣) انظر المبحث في كتاب الايضاح لابن الزاغوني (٤٢٩ ومابعدها.

Сканировано с CamScanner

.....

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. وقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، قالوا: هذه الآيات ذكر فيها تنزيل القرآن على سبيل المجاز، والمراد به نزول من أنزل إليك بعبارته، وهو جبريل، فأما نزوله بعينه فلا، وهذا مما يستند إلى تحقيق هو أن القرآن صفة ذاتية والصفات الذاتية لا تنتقل عن محلها الموصوف بها.

والجواب عن ذلك:

من وجوه:

الأول. القرآن نص على أنه منزل وحقيقة الإضافة بالنصوص تدل على أنه على الحقيقة لا على سبيل المجاز، ولأنه قد قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. ويدل على أن الفاعل للنزول به غيره، وأن المنزل به غير المنزل، ومثل هذا لا يصح إدخال التجوز به.

الثاني: وأما قولهم أنه أنزل بعبارته، فعبارته غيره، لأن عبارته كتفسيره إذا هو بيان معناه بغير لفظه، والقرآن هو الكلام بعينه فلو نزل بعبارته لكان منزلًا بغيره، وهذا خلاف ما نطقت به الآيات.

الثالث: وأما قولهم: إن القرآن صفة ذاتية والصفات الذاتية لا تنتقل عن محلها.

فالجوابه عنه:

هذا القول في الصفات اللازمة، فأما الكلام فهو من الصفات المتعدية.

ولهذا يتعدى إلى السمع فينتقل من محله الذي هو مقارنة الذات الى الاتصال بالأسماع لا على وجه النقلة القاطعة.

قوله: **منه بدأ وإليه يعود.**

ومعنى قولهم منه بدأ: أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره، كما قالت الجهمية ومن

Сканировано с CamScanner

منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات.....

وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات، وأن الله سبحانه لم يقم به كلام.

قوله: **وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات.**

السور جمع: سورة.

السورة في اللغة: تطلق على ما ذكره صاحب القاموس بقوله: والسورة: المنزلة ومن القرآن معروفة لأنها منزلة بعد منزلة: مقطوطة عن الأخرى والشرف وما طال من البناء وحسن والعلامة وعرق من عروق الحائط.

تعريفها اصطلاحا: بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. قالوا: وهي مأخوذة من سور المدينة. وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ويقام كل صف منه على صف[1].

وآيات: جمع آية: لغة: لها عدة معانٍ ومنها العلامة.

اصطلاحًا: أنها طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.

والمراد بذلك أن القرآن الكريم محكم وآياته واضحة بيِّنة من غير تأويل.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

قوله: **وحروف وكلمات.**

ساق المصنف هذه العبارة للتأكيد على أن القرآن كلام الله تعالى سور وآيات وهذه الآيات حروف وكلمات، للدلالة على أن كلام الله تعالى بحرف وصوت.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٢٨٥).

Сканировано с CamScanner

من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض،...

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا»[1].

قوله: **من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات.**

والأصل في كلام المصنف قول النبي ﷺ: «أعربوا القرآن، فإنه من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات»[2].

وهو دليل آخر على أن كلام الله تعالى بحرف وصوت.

قوله: **له أول وآخر وأجزاء وأبعاض.**

يقسم أول القرآن وآخره إلى قسمين:

قسم: باعتبار أول نزوله وآخره: فأول ما نزل من القرآن عند جمهور العلماء قول الله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وآخر ما نزل آية الربا. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وباعتبار ترتيب سوره:

فأوله سورة الفاتحة وآخره سورة الناس.

والمراد بهذا القول هو رد على الاشاعرة الذين قالوا إن القديم لا يتجزأ ولا يتعدد.

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٧٩٣).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٧).

Сканировано с CamScanner

متلو بالألسنة محفوظ في الصدور،.....

والجواب عنه:

بإن أسماء الله ـ تعالى ـ متعددة، قال ـ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة»، وهي قديمة، وقد نص الإمام الشافعي أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال الإمام أحمد: من قال إن أسماء الله ـ تعالى ـ مخلوقة فقد كفر. وكذا كتب الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان متعددة، وهي كلام الله ـ تعالى، وقد ورد السمع بأن القرآن ذو عدد، وأقر المسلمون بأنه كلام الله ـ تعالى. وقد عد الأشعري صفات الله سبع عشرة صفة، بين أن منها ما لا يعلم إلا بالسمع، فإذا جاز أن يوصف بصفات متعددة، لم يلزم بدخول العدد في الحروف شيء[1].

قوله: **متلو بالألسنة محفوظ في الصدور.**

ذكر المصنف حقيقة القرآن وأنه متلو بالألسن ردًا على من قال بأن الكلام من الله تعالى زمن غيره من العباد معنى قائم في النفس وأن الحروف وأصوات عبارة عنه وعن غيره.

والجواب عنه من طرق:

الأول النقل:

قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وجه الاستدلال: أن الذي يتحرك به اللسان إنما هو الحروف والأصوات بدلالة الآية وقد كان سبب نزولها وكان ﷺ إذا لقن الوحي، يحرك لسانه مسارعة إلى حفظه قبل فراغ جبريل، مخافة أن يتفلت منه، فنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ [القيامة: ١٦]، بالقرآن.

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، حذرا أن يفوتك منه شيء؛ أي: لا تقرأه حتى يفرغ

(١) انظر لوامع الأنوار البهية (١/ ١٣٩).

Сканировано с CamScanner

.....

جبريل من قراءته[١].

وهذا ظاهر واضح في أن الذي يتحرك به اللسان هو القرين الذي سمعه من جبريل وليس هو المعنى القائم في النفس.

الثاني العقل:

فإن أهل اللغة العربية قسموا الكلام ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف، وحد الاسم بأنه ينادى وعلاماته التنوين وحروف الخفض وغيرها.

والفعل ما تصرف للماضي والحال والاستقبال واسم الفاعل والمفعول وغيرها.

والحروف أدوات وصلات تدل على معانٍ في غيرها، وهذا اتفاق منهم أن ما خرج عن هذه القسمة فليس بكلام، ومأخذهم في ذلك أن الكلام عندهم إنما هو المفيد، والمفيد يقع تارة مفردًا ويقع مركبا وهو الجمل الجامعة للاسم والفعل نحو قام زيد والاسم والحرف نحو قوله: من زيد؟ وأمثال ذلك وهذا جميعه يختص بالحروف والاصوات لا غير[٢].

الاجماع: قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى:

«وأجمع المسلمون على أن من قرأ فاتحة الكتاب في صلاة إنه قارئ كتاب الله، وأن من حلف أنه لا يتكلم فقرأ القرآن لم يحنث، فدل على أنه ليس بعبارة.

وقال النبي ﷺ في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين، إنما هي القراءة، والتسبيح، والتهليل، وتلاوة القرآن».

فأخبر أن تلاوة القرآن هي القرآن، فعلم بذلك أن التلاوة هي المتلو، والله تعالى،

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٧/ ٢٢٣).

(٢) الايضاح (٣٩٥_٣٩٦).

Сканировано с CamScanner

مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]،.....

ورسوله ﷺ أمر المؤمنين بالقراءة في الصلاة، ونهيا عن الكلام، فلو كانت قراءتنا كلامنا لا كلام الله لكنا مرتكبين للنهي في الصلاة»[1].

قوله: **مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف.**

القرآن يسمع بالآذان:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ولم يقل: حتى يسمع كلامك يا محمد.

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

والناس إنما سمعوا قراءة النبي ﷺ ولفظه، فلفظه بالقرآن هو القرآن، ومدح الله سبحانه وتعالى الجن الذين سمعوا قراءة النبي ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قوله: **فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت: ٤٢].

تقدم ذكر المحكم والمتشابه.

الناسخ: اسم فاعل من نسخ ينسخ فهو ناسخ، والناسخ حقيقة هو الله تعالى؛ فهو

---

(١) الغنية لطالبي الحق (١/ ١٢٩).

Сканировано с CamScanner

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

الذي ينسخ ما شاء بما شاء؛ كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

والمنسوخ: اسم مفعول من الفعل الثلاثي نسخ، نُسخ ـ بالبناء على المجهول ـ نسخًا، فهو منسوخ.

النسخ: حُكم الشرعي الذي رُفع بدليل شرعي متراخٍ عنه.

الخاص: هو قصر العام على بعض أفراده.

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع أفراده.

والأمر: هو طلب الفعل بالقول على وجه الاستعلاء.

والنهي: طلب الكفِّ عن فعل، على جهة الاستعلاء.

ومراد المصنف أن الله قد أحكم نظم كتابه نظمًا لا يلحقه الخلل ولا النقص ففيه الأوامر والنواهي وفيه الخاص والعام وفيه الناسخ والمنسوخ بدليل قول الله ﷻ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «الذي لم يعط نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد ﷺ كتابا مثله، ولا أكمل منه، ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن، وحكم الفصل بين الناس منه»[1].

وقوله: وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٧).

Сканировано с CamScanner

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]. فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]. وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

أخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له.

قوله: وهو هذا الكتاب العربي.

أي أن هذا القرآن اسم للكتاب العربي لفظه ومعناه بدليل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: ٩٨]. فإنه من يقرأ القرآن العربي لا معانيه المجردة.

وأن هذا القرآن العربي هو كلام الله تعالى بحرف وصوت.

قوله: وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]. فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]. وجه الاستدلال:

قول المشركين: إن هذا قول البشر أي مخلوق، فمن قال بهذا فقد توعده الله تعالى بقوله فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

ولو كان كما يقول المبتدعة: ليس بكلام الله ﷻ، إنما هو كلام المخلوق؛ لما جاز أن يتوعد الله عليه.

قوله: وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

Сканировано с CamScanner

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

ثم قال الكفار: إن محمدًا شاعر، وما يقوله شعر، أنزل الله تكذيبا لهم بقوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]. ولا ينبغي له أي ما يتسهل له عمله.

قال المصنف: فلما نفى الله عنه أنه شِعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شِعر.

قوله: وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. وجه الاستدلال:

تقدم استدلال المصنف رحمه الله ـ في سياق مدح كتاب الله تعالى ـ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فتحدى الخلق بالإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤]. فلما عجزوا عن الإتيان بمثله تحداهم بعشر سور فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]. فلما عجزوا تحداهم بالإتيان بسورة

Сканировано с CamScanner

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل، .....

واحدة فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. أي من مثل القرآن العظيم فعجزوا. وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ - ٣٤]. غاية التحدي والتبكيت والرد عليهم والتنكيت أي إن كانوا صادقين في زعمهم أن النبي ﷺ تقوَّل القرآن العظيم، فليأتوا بحديث مثله.

فإنه إذا كان محمد ﷺ قادرا على أن يتقوَّله كما يقدر الإنسان أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه، فيمكن للناس أن يأتوا بمثله، ولما تحداهم الله تعالى بسورة واحدة في قوله قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بعد أن تحداهم بالإتيان بعشر سور هم ومن استطاعوا، قال جل شأنه ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]. كما قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. أي هو سبحانه يعلم أنه مفترى.

كما قال ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]. أي ما كان لأن يفترى، يقول ما كان ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى لا يمكن، ولا يحتمل، ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق[1].

ثم قال المصنف: **ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل.**

أشار المصنف إلى بيان أمرين:

---

(١) لوامع الأنوار (١/ ١٧١).

Сканировано с CamScanner

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾ [يونس: ١٥]. فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].....

الأول: أنه لا يجوز أن يتحدى بأن يأتوا بمثل ما لايدري ما هو ولا يعقل.

الثاني: أن ألفاظ ومعاني القرآن من كلام رب العالمين، لأن الله تعالى تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن، ثم يأتوا بعشر سور، ثم بسورة من مثله في اعجازه ولم يأتوا.

والإعجاز الواقع في التحدي، هو عظم نظم القرآن، بألفاظه ومعانيه.

قوله: وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾ [يونس: ١٥]. فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وفي هذا دليل على أن القرآن كلام الله.

وجه الاستدلال:

١. أن المتلو هو القرآن العظيم.

٢. أن آيات الله واضحات.

٣. أن المتلو ليس من كلام النبي ﷺ.

٤. مطالبتهم بتبديل القرآن.

٥. نفي النبي ﷺ تبديل القرآن لأنه وحي من الله تعالى.

قوله: وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

Сканировано с CamScanner

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩].

دليل آخر:

على أن القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين الذين حفظوه؛ لأن من خصائص القرآن كونه معجزا، وهو محفوظ في الصدور، بخلاف سائر الكتب؛ لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظرا، فإذا أطبقوه، لم يعرفوا منه شيئا، سوى الأنبياء، وما نقل عن قارون[1].

قوله: وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]. بعد أن أقسم على ذلك.

قوله: الكتاب: يحتمل[2]. أن يكون المراد به القرآن، ويحتمل أن يراد به الكتاب المخزون المكنون عند الله تعالى الذي نسخ منه كل كتاب، لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨]. فدل على أن القرآن المتلو المكتوب في اللوح المحفوظ هو كلام الله تعالى.

والقسم هو قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧]. والمراد من قول المصنف: بعد أن أقسم على ذلك.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]. ومعنى ذلك: أقسم، و(لا) زائدة.

وقيل: قوله: (فلا) رد لما قاله الكفار في القرآن أنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: أقسم.

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٥/ ٢٥٥).

(٢) اختلف العلماء فيه على قولين: قيل: إنه القرآن، أي: المصحف، وقيل: إنه المكتوب في اللوح المحفوظ.

Сканировано с CamScanner

بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]. ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢]. وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»(١) حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»(٢). وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

قوله: وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]. ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢]. وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

الحروف المقطعة، من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، فهذا هو تفويض المعنى لله سبحانه وتعالى؛ لأنه الذي يعلم معناها.

وفي ذكر الأحرف المقطعة دليل على أن الله يتكلم بحرف.

والحروف بألفاظها ومعانيها هي كلام الله تعالى، بإجماع أئمة المسلمين.

قوله: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»(٣) حديث صحيح.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الايمان (٣/ ٥٤٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٠٦).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٥٤٩).

Сканировано с CamScanner

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

بعد أن ذكر الأدلة من القرآن على أن القرآن كلام الله تعالى بحرف وصوت، شرع رحمه بذكر الأدلة من السنة:

ووجه الاستدلال: أن القرآن كلام الله تعالى بحرف.

ساق المصنف رحمه الله الأدلة من السنة وأقوال الصحابة ﷺ بعد أن ساق الأدلة من القرآن على أن القرآن كلام الله تعالى بحروف وصوت.

فوجه الاستدلال من ذلك:

بقول النبي ﷺ: **يقيمون حروفه إقامة.**

وقول أبي بكر ﷺ: **حفظ بعض حروفه.**

وقول علي ﷺ: **من كفر بحرف منه.**

نقل المصنف للاتفاق بقوله: **واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.**

ونفيه للخلاف بقوله: **ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.**

كل ما تقدم ذكره من الأدلة نصت بصريح العبارة أن القرآن كلام الله تعالى بحروف.

Сканировано с CamScanner

(رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة)

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه،.....

اثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قوله: **رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه.**

من أبواب العقيدة عند الحنابلة ـ يقتفون بذلك أثر السلف ـ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

والكلام على الرؤية يتضمن مسائل:

الأولى. رؤية المؤمنين لربهم جائزة بالجملة.

الثانية: رؤية المؤمنين لربهم سبحانه يوم القيامة.

الثالثة: رؤيته بالعين واجبة لا بغيرها.

الرابعة: حكم انكار الرؤية.

فأما الأولى: رؤية الله تعالى جائزة بالجملة:

فدليل ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وجه الاستدلال:

أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يعلمون ما يجوز في حق الله تعالى وما لا يجوز، وأن

Сканировано с CamScanner

ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق،.....

موسى عليه السلام كان يعلم ما يجوز له أن يسأله وما لا يجوز، ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام جهل أن الله تعالى لا يجوز أن يرى فسأله ما لا يجوز عليه. ولا يجوز له أن يسأل الله تعالى ما هو مستحيل في صفته، لأنه يؤدي إلى الاستخفاف به.

فلم يتبق إلا أن ذلك جائز في حقه، فسأله ما هو جائز.

ويثبت ما تقدم أن الله تعالى لم ينكر عليه ذلك ولم يعنفه.

الثانية: رؤية المؤمنين لربهم سبحانه يوم القيامة:

الأدلة على ذلك:

قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَيْ سَنَةٍ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللهِ عز وجل فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ - ثُمَّ تَلَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]. قَالَ: الْبَيَاضُ وَالصَّفَاءُ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]. قَالَ: يَنْظُرُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى وَجْهِ اللهِ عز وجل»[1].

وقوله: فيزورنه.

دليل ذلك: قال أبو هريرة رضي الله عنه في حديث طويل: أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا،

---

(١) الرؤية للدارقطني (٢٧٢).

Сканировано с CamScanner

وقال النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»[١]. حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة....»[٢].

قوله: **وقال النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»[٣]. حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.**

قال القاضي رحمه الله:

«فأما قوله: «كما ترون القمر» فلم يقصد به إلا تحقيق رؤية العيان، لا تشبيه المرئي بالقمر في أنه محدود في جهة، وإنما معناه رؤيتكم لله يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر، أي كما لا تشكون ليلة البدر في رؤية القمر أنه البدر، ولا يتخالجكم فيه ريب وظن، كذلك ترون الله ﷻ يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين وأما قوله: «لا تضامون في رؤيته» بالتشديد فقيل معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض كما تنضمون في رؤية الهلال رأس الشهر، بل ترونه جهرة من غير تكلف لطلب رؤيته كما ترون البدر - وهو القمر ليلة الرابع عشر إذا عاينه المعاين جهرة لم يحتج إلى تكلف في طلب رؤيته وأما قوله تعالى: «لا تضامون» مخفف فالمراد به الضيم أي: لا يلحقكم فيه ضيم، والضيم والضرر واحد في المعنى وأما قوله: «لا تضارون» أي: لا يلحقكم ضرر في رؤيته بتكلف طلبها كما يلحق المشقة والتعب

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي (٤/ ٢٦٦).
(٣) متفق عليه.

Сканировано с CamScanner

.....

في طلب ما يخفى ويدق ويغمض وكل ذلك تحقيق لرؤية المعاينة»[١].

الثالثة: رؤيته بالعين واجبة لا بغيرها:

دليل ذلك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

وجه الاستدلال:

الأول: أنه قرن النظر إليه بالوجوه وذلك مخصوص بالرؤية والمشاهدة لا غير.

واطلاق النظر إذا اضيف إلى الوجه فإن الحقيقة والمعتد الظاهر في اللغة، أن المراد به الرؤية والادراك بالمشاهدة، ونقله عن حقيقته إلى مجازه لا يقبل إلا بدليل.

ثانيا. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

يعني وجوهًا مشرقة حسنة، وهي وجوه المؤمنين رائية لله تعالى وقال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. واللقاء إذا اطلق على الحي السليم الذي لا آفة به فهي الرؤية.

وقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال قتادة وغيره من أهل التأويل: «الحسنى الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله»[٢].

الإجماع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة»[٣].

---

(١) ابطال التأويلات (٢٨٦).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

Сканировано с CamScanner

.....

.....

الرابعة: حكم انكار الرؤية.

حكم من أنكر الرؤية وقال إن الله تعالى لا يرى يوم القيامة فهو كافر.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية المروذي وحنبل وأبي داود: «من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر»[1].

(١) ابطال التأويلات (١/ ٢٥٨).

Сканировано с CamScanner

(القضاء والقدر)

القضاء والقدر ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته،.....

القضاء: وهو لغة: الحكم.

واصطلاحًا: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال.

والقدر: بتحريك الدال وتسكن، مصدر قدرت الشيء بفتح الدال، مخففة؛ إذا أحطت بمقداره، و«أل» فيه وفي القضاء عوض عن مضاف إليه، أي بتقدير الله تعالى لذلك.

والقدر: عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور.

القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر.

ولا فرق بين القضاء والقدر.

قوله: **القضاء والقدر ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد. لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته.**

وهي صفة كمال لله تعالى فهو المتصرف ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قال السفاريني رحمه الله:

«القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ـ سبحانه وتعالى ـ

Сканировано с CamScanner

وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور،.....

أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ تعالى ـ، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها»[1].

قوله: **لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته.**

جعل المصنف رحمه الله ارتباطًا بين القضاء والقدر، وبين صفة إرادة الله تعالى ومشيئته.

لأن كل أفعال العبد متعلق بمشيئة الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قوله: **وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره.**

وهذا يعم القضاء والقدر لقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. قوله: **ولا محيد عن القدر المقدور.**

فإذا وقع القدر فإنه لا مفر ولا مهرب منه.

قال ﷺ: «وأعلم أن الأمم لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الصحف، ورفعت الأقلام، أو قال: الأقلام ورفعت الصحف»[2].

قوله: **ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.**

والمراد به اللوح المحفوظ، وهذه المسألة تسمى بمسألة الكتابة.

لقول رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟

---

(١) لوامع الانوار البهية (١/ ٣٤٨).

(٢) القضاء والقدر للبيهقي (٢٢٦).

Сканировано с CamScanner

أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه،.....

قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة «يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[1].

قوله: **أراد ما العالم فاعلوه.**

والمراد أن الله تعالى أراد من خلقه كل شيء، فما من فعل يفعلوه إلا وقد أراده الله تعالى، ولكن لا يدخل في مشيئته لأن المشيئة مرادفة للمحبة.

فقد يقع الكفر أو الفسق أو المعاصي، وهو بإرادة الله وقع الفعل من العبد، إلا أن الله تعالى لم يحبه.

أو خير من صدقة ونحو ذلك فهذا يحبه الله تعالى.

قوله: **ولو عصمهم لما خالفوه.**

ولو عصمهم من الكفر والفسق لما خالفوه، لأن أفعال الخلق مخلوقة لله تعالى، فالفعل مخلوق لله تعالى، والكسب من العبد اختيار له يعاقب عليه ان كان ذنبًا، ويثاب عليه إن كان طاعة، قال تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. **ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه.**

قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

وهو دليل على أن الله تعالى لو أراد من الخلق طاعتهم له لجعلهم كلهم مطيعون، ولكن هي حكمة الله في خلقه عرضهم للاختبار.

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٢٥).

Сканировано с CamScanner

خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته،.....

قوله: **خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته.**

يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى مسألة عقدية وهي: أفعال العبد والكسب.

الأصل أن الله تعالى خالق كل شيء كما قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وغيرها من الآيات.

وأفعال الخلق جميعها خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها مخلوقة لله تعالى خلقها وأوجدها بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. قوله: **وقدر أرزاقهم وآجالهم.**

أرزاقهم: جمع رزق: لغة: الراء والزاء والقاف أصيلٌ واحدٌ، يدلّ على عطاءٍ لوقت، والرزق: بالفتح مصدر، وبالكسر اسم الشيء المرزوق، وهو كل ما ينتفع به، وجمعه أرزاق[1].

اصطلاحًا.

الرزق: كل ما ينتفع به، سواءً كان ماديًّا كالأموال من ذهب وفضة وحيوان وزروع وثمار وعقار، ونحو ذلك، أو كان معنويًّا كالمعارف والعلوم والمنزلة والجاه والسلطان والعقل والذكاء وحسن الخلق ونحو ذلك[2].

وآجالهم: جمع أجل: وهو مُدَّةُ الشَّيْءِ[3]. أي مدة أعمارهم.

---

(١) التفسير الميسر. (٢٩٥).
(٢) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (٢٦٤).
(٣) مختار الصحاح (١٤).

Сканировано с CamScanner

.....

وهو في حديث ابن مسعود ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[١].

قوله: **يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته.**

الأفعال الصادرة عن المكلف نوعان:

الأول: ماكان طاعة وقربة.

الثاني: ما كان كفرًا ومعصية وشرًا.

وكلا الفعلين الصادرين من المكلف فهما خلق الله تعالى خلقهما وقضاهما وقدرهما وأرداهما.

والله تعالى قضى المعاصي والكفر وقدرهما بمعنى خلقهما وكتبهما على الخلق، وأعلمهم بهما، وأخبرهم عنهما. لا على معنى أنه امر بهما وحكم بإيجابهما وإلزامهما، وأراد أن يكون الكفر منهم غير آمن به، ولا نقول أراد لهم الكفر، لأن هذا يوهم أنه أباحه[٢].

دليل ذلك قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وجه الاستدلال:

أن الله تعالى قال (ونبلوكم) والمراد به نختبركم.

أخبر الله تعالى أنه فاعله، ويختبرنا بذلك، فمن يفعل الخير فبكسبه ومن يفعل الشر فبكسبه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مختصر المعتمد (١٣٠). والايضاح (٤٨٤).

Сканировано с CamScanner

.....

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

أخبر الله تعالى أنه يهدي، والهداية أعلى ما كان حسنًا، وتتفرع منه الطاعة والقربة، وأخبر أنه يضل والضلال أعلى ما يكون من الشر، ويتفرع عنه المعاصي وغيرها.

وأخبر الله تعالى أنهما من فعله جميعًا[1].

والهداية أقسام:

قال السفاريني رحمه الله:

«أولًا. الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من أعمال.

ثانيًا. هداية البيان، والدلالة، والتعريف لنجدي الخير، والشر، وطريقي الهلاك، والنجاة، وهذه لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب؛ ولهذا ينتفي الهدى معها كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا.

الثالث: هداية التوفيق والإلهام، المستلزمة للاهتداء، التي ذكرناها آنفا.

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة، والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

(١) انظر الايضاح لابن الزاغوني (٤٨٥).

Сканировано с CamScanner

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]»[1].

قوله: قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ساق المصنف رحمه الله تعالى لهذه الآية لتعلقها في ركن الايمان بالقضاء والقدر، لئلا يتطرق الوهم، فإن الله تعالى لا يظلم عباده.

كل ما يفعله الله تبارك وتعالى فإنه بقضاء وقدر وبحكمة وعدل فأفعال الله تعالى كلها غاية في العدل وغاية في الحكمة، فلا يُسأل عما يفعل إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ لأنه يضع الأشياء في محلها.

ولا يسألونه لأنهم عبيد حقيقة، وفي أفعالهم خلل كثير.

فإن الله تعالى يثيب عباده، فإن أي إثابته بالخير فهو من فضله تعالى الزائد وكرمه الجزيل؛ لأن أتقى الناس وأعبدهم، لا تعادل عبادته وتقواه نعمة إيجاده من العدم إلى الوجود فضلا عن سائر نعمه سبحانه على عبده من البصر والسمع وغيرهما، والفضل والعطاء عن اختيار، لا عن إيجاب كما تزعمه الحكماء، ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة.

وإن يعذب عباده ولو المطيعين منهم فبمحض عدله سبحانه، لأنه تعالى تصرف في ملكه.

وقد جاء عن ابن الديلمي، قال: وقع في نفسي شيء من القدر، فأتيت زيد بن ثابت، فسألته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد، أو مثل جبل أحد، ذهبا، أنفقته في سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم

(١) لوامع الانوار البهية (١/ ٣٣٥). مختصرًا وهناك تقسيم أخر: فالهداية قسمان: الأول: هداية توفيق وقبول من الله تعالى. والثاني: هداية دلالة وبيان وهي من النبي ﷺ. ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

Сканировано с CamScanner

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

روى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله

أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا، دخلت النار»[1].

قوله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وهذه أدلة أخرى على مسألة القدر، وأنها دليل على أن عموم خلق الله تعالى، وأنها دليل على أن الله تعالى قدر مقادير الخلق ولكل شيء قدر.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. أي: كل ما يحدث للمخلوق من بلاء أو مصيبة أو جائحة من فيضانات أو حرائق ونحو ذلك فكله مكتوب، إلا وهي مسطورة في اللوح المحفوظ، من قبل أن نخلقها.

فالمخلوق ما عليه إلا أن يرضى بما قدره الله تعالى له.

قوله: وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. في هذه الآية دلالة على إرادة الله تعالى الخير والشر، وفعل الخير والشر وأن ارادته كونية، وهي غير الإرادة الشرعية كما تقدم بيانه.

قوله: روى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله

---

(١) رواه احمد في المسند (٣٥/ ٤٨٦).

Сканировано с CamScanner

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت»[١].

رواه مسلم. وقال النبي ﷺ: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»[٢].

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت»[٣].

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت»[٤].

ثم بدأ المصنف بذكر الأدلة من السنة على القدر.

وحديث جبريل عليه السلام مشهور وفيه بيان أركان الإسلام، وأركان الايمان، ومنها الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

فما يحدث للعبد من خير فبتقدير الله تعالى، وما يحدث من شر فبتقدير الله تعالى، والشر هو كسب العباد، وهو خير من الله تعالى لهم.

قوله: وقال النبي ﷺ: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»[٥].

دل الحديث على وجوب الإيمان بما قدره الله تعالى، والرضا به، سواء كان حلوا أي ما يرضي العبد، أو شرًا أي ما يكرهه.

قوله: ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت»[٦].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٦).
(٢) رواه أبو طاهر السلفي في الطويريات (٢/ ٣٥٢).
(٣) رواه أحمد في المسند (٢١/ ٣٤٣).
(٤) رواه مسلم (١/ ٣٦).
(٥) رواه أبو طاهر السلفي في الطويريات (٢/ ٣٥٢).
(٦) رواه أحمد في المسند (٢١/ ٣٤٣).

Сканировано с CamScanner

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

دل الحديث على أن العبد يعلم أن كل ما يحدث له هو بتقدير الله تعالى، فيدعو أن يقيه شر ما قضي له، وهو من كسبه، أو ما هو مقدر عليه من البلاء الذي لا دخل له به.

قوله: **ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى:** ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

هذه المسألة تعرف باسم (الاحتجاج بالقدر).

معنى قول المصنف: أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله تعالى به ونهى عنه.

فلا يجوز أن يقول أن سبب تركه للصلاة أن ذلك قدر الله وانه مكتوب، أو أنه يشرب الخمر لأنه مقدر عليه ذلك.

وهذا الاعتقاد يؤدي الى خلل في معاش الناس ودنياهم، ويبطل هذا الاعتقاد:

١ـ يلزم من يحتج بالقدر، أن هذا الاحتجاج عام لكل الناس، لأنهم مشتركون في القدر.

فلا يجوز أن ينكر على السارق سرقته، لأنه ايضًا يحتج بالقدر، وكذا اذا ضربه، أو اتلف له مالًا ونحو ذلك من الجنايات.

وعلى هذا يلزمهم عدم ذم أحد ممن فعل معه فعلًا محرما، ولا يجوز أن يقولوا لفلان ظالم، لأن الحجة عنده القدر، وهكذا.

٢ـ يلزم من الاحتجاج بالقدر أن تعطل حدود الله تعالى، وشرائعه.

Сканировано с CamScanner

ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧]. فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

---

٣ ـ أن الله تعالى اقام على العباد الحجة وكلفهم بما يطيقون، وللعبد قدرة على فعل ما أمره الله تعالى به، وله القدرة على ترك ما نهى الله عنه، وعنده القدرة على الامتثال لله تعالى بالفعل والترك، فحينها إذا ترك ذلك فهو التارك له وغير مريد له وانعدام رغبة في طاعة الله تعالى.

٤ ـ ويبطل الاحتجاج بالقدر، طلب الرزق، والتزوج والانجاب، لو أن الاحتجاج بالقدر صحيح لكان العبد اكتفى بانتظار الرزق ان يأتيه في بيته، ولم يتزوج احتجاجًا بالقدر انه سيأتيه ولد لأن مقدر ذلك له.

أما الاحتجاج بالقدر على المصائب كالأمراض والأسقام والجوائح التي لا دخل للعبد بها ولا قدرة له عليها، فيجوز الاحتجاج فيقول أن الله سبحانه قدر علينا كذا وكذا.

قوله: وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧]. فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

وهذا الكلام متعلق بما سبق من خلق الله تعالى لأفعال العباد، وأن الكسب لهم لذلك فإن الله تعالى يختبرهم، ثم يجزيهم على كسبهم مما فعلوه بقوله ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا

Сканировано с CamScanner

.....

كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]. وهذه ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر أن يؤمن العبد أن كل شيء خلقه الله تعالى، وهو مخير بفعل الطاعة والمعصية لأنه سيجازى عليها.

Сканировано с CamScanner

(الإيمان قول وعمل)

الإيمان قول وعمل والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

الإيمان: لغة: التصديق.

في حقيقته الشرعية: عرفه المصنف بقوله: **الإيمان قول وعمل والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.**

قوله: **قول باللسان**: وهو إقرار اللسان فمن لم يقر ويصدق بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن.

قوله: **وعمل بالأركان**: وهو عمل الجوارح كالنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة وغيرها من أعمال الجوارح.

قوله: **عقد بالجنان**: وهو تصديق القلب واعتقاده، فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه فهو منافق.

قال شاهين بن السميدع: سمعت أبا عبدالله يقول: «الإيمان قول وعمل؛ قول باللسان، وعمل الأركان»[1].

ودليل ما تقدم من تعريف الايمان قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٤٦١).

Сканировано с CamScanner

فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[١] فجعل القول والعمل من الإيمان،

ووجه الاستدلال عند المصنف: فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

دليل آخر: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وجه الاستدلال: هذه الآية نزلت عندما قال اليهود للمسلمين، مَنْ مات منكم على قبلة المسجد الاقصى، فقد ماتَ على الضلالة.

وفي الآية سمى الله تعالى الصلاة ايمان، وهي عمل.

وقد نص على ذلك الصحابة رضي الله عنهم.

فعن الإمام أحمد بن حنبل قال: «قال أصحاب رسول الله ﷺ حين حولت القبلة إلى البيت: فكيف بصلاتنا التي صلينا إليها، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فسمعت أحمد بن حنبل يقول: فجعل صلاتهم إيمانًا، فالصلاة من الإيمان»[٢].

قوله: **وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[٣].

فجعل القول والعمل من الإيمان.

فالقول: شهادة ان لا إله إلا الله.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٦٣).
(٢) السنة للخلال (١/ ٤٦٦).
(٣) رواه مسلم (١/ ٦٣).

Сканировано с CamScanner

وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: ٤]. وقال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان»[١]. فجعله متفاضلا.

والعمل: اماطة الأذى عن الطريق.

ومابينهما أقوال وأعمال وهي الشعب المذكورة في الحديث.

قوله: وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: ٤]. وقال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان»[٢]. فجعله متفاضلا.

ذكر زيادة الإيمان ونقصانه.

عند الحنابلة الأثرية: ان الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدليل ماذكره المصنف.

وقد نص الإمام أحمد رضي الله عنه على ذلك.

قال صالح: وسألت أبي عمن يقول: الإيمان يزيد وينقص، ما زيادته ونقصانه؟

فقال: زيادته بالعمل، ونقصانه بترك العمل، مثل تركه الصلاة والزكاة والحج وأداء الفرائض، فهذا ينقص، ويزيد بالعمل.

وقال: إن كان قبل زيادته تامًّا، فكيف يزيد التام؟! فكما يزيد كذا ينقص[٣].

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٨٢).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مسائل صالح (٥٣٧).

Сканировано с CamScanner

.....

مسألة: أقسام الإيمان:

«قال القاضي رحمه الله:

وهو على ثلاثة أضرب:

مايكفر تاركه: وهو المعرفة والتصديق والصلاة في احدى الروايتين[١].

الثاني: ما يفسق ولا يكفر، كترك الزكاة والحج والصيام وغير ذلك من الواجبات.

الثالث. ما لايفسق ولا يكفر وهو ترك النوافل لا على وجه المداومة»[٢].

مسألة: تارك عمل الجوارح عند الحنابلة:

وهو الذي وجد منه التصديق بالقلب وبالقول، لكنه ترك الطاعات غير الصلاة كما تقدم وارتكب المنكرات، فهو مؤمن ناقص الايمان ولا نسلبه اسم الايمان بل نقول مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته[٣].

قال صالح: وقال أبي: الإيمان يتفاضل، بعضه أفضل من بعض، يزيد وينقص، وزيادته في العمل، ونقصانه في ترك العمل؛ لأن القول هو مقر به[٤].

مسألة: الاستثناء في الايمان عند الحنابلة:

لا يجوز أن يقول أنا مؤمن حقًا، ويجب أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله. نص على ذلك.

---

(١) المعتمد في تارك الصلاة لا تكفير ولا قتل إلا بشرطين: ١. دعاية الامام له. ٢. خروج وقت الأولى وتضايق وقت الثانية.

(٢) مختصر المعتمد (١٨٦).

(٣) المصدر نفسه (١٨٦).

(٤) مسائل صالح (١١٩٨).

Сканировано с CamScanner

.....

قال حرب: سُئل أحمد بن حنبل: ما تقول في الاستثناء في الإيمان؟.

قال: نحن نذهب إليه.

قيل: الرجل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ قال: نعم.

وقال: سألت إسحاق قلت: أنت تقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟

قال: نعم[١].

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

«وإنما قلنا ذلك لما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: من زعم أنه مؤمن فهو كافر.

وعن الحسن ﷺ: أن رجلًا قال عند عبدالله بن مسعود ﷺ: إني مؤمن.

فقيل لابن مسعود إن هذا يزعم أنه مؤمن قال: فاسألوه أفي الجنة هو أم هو في النار؟ فسألوه فقال: الله أعلم. فقال عبدالله: فهلا وكلت الأخرى كما وكلت الأولى.

ولأن المؤمن حقًا من هو عند الله تعالى مؤمن، وهو الذي يكون من أهل الجنة.

ولا يكون كذلك إلا بعد موافاته بالإيمان، ويختم له بذلك، ولا يعلم أحد بما يختم له»[٢].

(١) مسائل حرب (٣٧١).

(٢) الغنية لطالبي طريق (١/ ١٣٧).

Сканировано с CamScanner

(الإيمان بكل ما أخبر به الرسول)

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

قوله: **الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه.**

ذكر المصنف أصل من أصول الإيمان ولوازمه، وهو وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ سواء كان أمرًا مشاهدًا بالعين في زمن الصحابة رضي الله عنهم كإخبار النبي ﷺ بأن الله تعالى سيفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه.

أو ما غاب عنهم وعنا كثير، كوعد النبي ﷺ لسراقة بن مالك بسواري كسرى، ووقع.

قوله: **مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.**

مثل المصنف رحمه الله للأمور الغيبية الغير مشاهدة بحادثة الإسراء والمعراج.

وهي حادثة عظيمة، مر بها النبي ﷺ بعد ما اشتد به أذى قريش وموت عمه، وكان ذاك العام شديدًا عليه، حتى سمي بعام الحزن، فجاء الأمر الرباني بمواساة النبي ﷺ فحادثة الاسراء والمعراج فنزل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

Сканировано с CamScanner

.....

وقد جاء في حادثة الاسراء أحاديث كثيرة بطرق وألفاظ كثيرة فوجب الإيمان بما صح منها.

وهي من الغيبيات التي أمرنا الله تعالى بالإيمان بها وأخبرنا بها رسول الله ﷺ بها وبما حدث عند الاسراء به الى بيت المقدس وعندما عرج به إلى السماء ﷺ.

حادثة الاسراء والمعراج هي معجزة من معجزات النبي ﷺ ولقد أيد الله تعالى نبيه فيها فأثبت صدق خبره عنها.

وظهر ذلك عندما أخبر النبي ﷺ الناس بما رآه فصدقه أبو بكر الصديق وبه لقب وكل من آمن به إيمانا قويا وارتد ناس ممن آمن به، وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر إليه ويصفه ويعدّ أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم، وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر.

وذكر أنه ﷺ لما رجع إلى مكة من ليلته أخبر بمسراه أم هانىء بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنه وأنه يريد أن يخرج إلى قومه ويخبرهم بذلك لأنه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه ﷺ فتعلقت بردائه أم هانىء وقالت: أنشدك الله يا ابن عم ألا تحدث بها قريشا فيكذبك من صدقك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها، قالت: وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فإذا هو قد خرج، قال: فقلت لجاريتي نبعة وكانت حبشية: اتبعيه وانظري ماذا يقول، فلما رجعت أخبرتني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى نفر من قريش في الحطيم وفيهم مطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام فأخبرهم بمسراه[1].

قوله: **وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.**

(١) اخرجه أبو يعلى في معجمه (٤٢).

Сканировано с CamScanner

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ

ومما دل على أن الاسراء بجسد النبي ﷺ:

قال مطعم بن عدي: إن أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم، هو يشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا، أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته أنا أشهد أنه صادق[١].

وفي رواية: فسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه في ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة، فقال مطعم: يا محمد صف لنا بيت المقدس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: صف لي يا رسول الله فإني قد جئته، فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في موضع كذا، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: أشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه[٢].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[٣].

فهذه الحادثة وأمثالها نصدق ما أخبر به نبينا ﷺ ولا يعمل العقل بها فقد نص القرآن عليها.

قوله: **ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ**

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٨٥٢).
(٣) رواه البخاري (٣/ ١٤٠٩).

Сканировано с CamScanner

عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

وهذا مثال ثانٍ على ما أخبرنا به رسول الله ﷺ ويجب علينا أن نؤمن به وهو حديث أبي هريرة، قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله، بما غطت يده بكل شعرة، سنة، قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثم، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر»[1].

هذا الحديث ثبت عن النبي ﷺ وهو حديث صحيح رواه الأئمة الثقات وتلقته الأئمة بالقبول وصدقت به الأمة.

وقد أثار المبتدعة والمشككين شبهات حول الحديث وزعموا أنه مخالف للشرع والعقل.

ومجمل شبههم:

أن في الحديث لا يليق بالله تعالى أن يبعث رسالته في عبد من عبيده يبطش بملك الموت.

وكيف يجوز لنبي الله وكليمه موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم أن يكره الموت.

وهل للملك حقيقة جسمانية حتى يقال له عينين ففقأ واحدة.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أولًا. أن هذا طعن في نقلة الدين وعدالتهم وهم الصحابة رضي الله عنهم وأولهم من روى

(١) رواه أحمد في المسند (٧/ ٣٨٧). والبخاري (٢/ ٩٠). ومسلم (٤/ ١٨٤٢).

Сканировано с CamScanner

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال.....

الحديث وهو أبو هريرة رضي الله عنه.

ثانيًا. للملائكة التمثل بصورة بشر كما حصل مع جبريل عليه السلام كان يتمثل بدحية الكلبي.

ثالثًا. كراهية الموت ليست مستغربة من موسى عليه السلام فهم بشر، والمراد كراهية الموت وليس كراهية لقاء الله تعالى.

هذا مجمل الجواب عن الشبه التي يطرحها المبتدعة.

قوله: **ومن ذلك أشراط الساعة.**

أشراط: جمع شَرَط: وهي علامات أو أمارات.

أي مما أخبر به النبي ﷺ ويجب الإيمان به أشراط الساعة ثم مثل لها أمثلة من علامات الساعة الكبرى وهي:

مثل خروج الدجال.

أولًا. خروج الدجال من علامات الساعة الكبرى، وقد جاءت أحاديثه في الصحيحين وحذر النبي ﷺ من فتنته.

وصفه كما جاء في الأحاديث مختصرًا:

أنه رجل، أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بارزة، ولا غائرة، كأنها عنبة طافئة، وعينُه اليُسرى عليها ظفرة غليظة (أي: لحمة تنبت في مقدمة العين)، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المُقطَّعَة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كلُّ مسلمٍ كاتب أو غير كاتب. وهو عقيم لا يُولد له، ويَعرف المؤمنون مَسِيحَ الضَّلالةِ إذا خرج فلا يُفتنون به، ويغتر به الجاهلُ الذي غلبت

Сканировано с CamScanner

ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله.....

عليه الشِّقوة.

ويخرج الدجالُ من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان. وأكثر أتباعه من اليهود، والعجم، والترك، وأخلاط الناس؛ وأكثر أتباع الدجال الأعراب والنساء.

ومن عظيم فتنة الدجال: أنه يدَّعي النبوةَ، ثم يدَّعي الربوبيةَ، والألوهية، ويدعو إلى فتنة الناس وصدِّهم عن دينهم، ويدعو إلى تصديقه، والإيمان بأنه الرب الإله؛ وذلك بسبب ما يُعطاه من الآيات والخوارق التي تُبهِرُ العقولَ، وتُحيِّرُ الألباب؛ فقد ورد أنَّ معه جنةً وناراً، وجنَّته ناره، ونارُه جنَّته، وأنَّ معه أنهارَ الماء، وجِبالَ الخبر، وأنه يأمر السماءْ أنْ تُمطِر فتُمطِر، والأرض أن تنبت فتنبت.

ووَرَدَ أنَّ كنوز الأرض تَتْبَعُه، وأنه يقطع الأرضَ بسرعةٍ عظيمة؛ كسرعة الغيث إذا استدبرته الريح، وأنَّ الجمادَ والحيوانَ يستجيب له، وأنه يقتل شابًّا ثم يُحييه، وغير ذلك من الخوارق التي جاءت بها الأحاديث الصحيحة.

قوله: **ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله.**

لحديث النبي ﷺ: «ثم يجيء عيسى ابن مريم من قبل المغرب، مصدقا بمحمد، وعلى ملته، فيقتل الدجال، ثم إنما هو قيام الساعة»[1].

هذه الأحاديث التي ذكر فيها قصة الدجال حجة لأهل السنة في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى وانه واجب الإيمان بها.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٣/ ٣٢٦).

Сканировано с CamScanner

وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

قوله: **وخروج يأجوج ومأجوج.**

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم قال: «لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة إلى أن قال: فردوا الحديث إلى عيسى، فذكر قتل الدجال ثم قال: ثم يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه. يجأرون إلي فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إلي فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر»[1].

قوله: **وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.**

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[2].

وما تقدم من الغيبيات المذكورة في القرآن وما صح من السنة الواجب وقوعها وهي من معجزات النبي ﷺ.

---

(١) رواه ابن ابي شيبة في المصنف (١/ ٢٠٥).
(٢) رواه مسلم (١/ ١٣٧).

Сканировано с CamScanner

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق. وسؤال منكر ونكير حق،.....

قوله: **وأشباه ذلك مما صح به النقل.**

أي ما يشبه من هذه الأحاديث سواء كانت علامات الساعة الكبرى أو الصغرى، بشرط صحة الأحاديث.

قوله: **وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق.**

عذاب القبر ومنكر ونكير مما يجب الإيمان به لأنه من الغيبيات غير المشاهدة، وأنكر أهل البدع من الخوارج والمعتزلة عذاب القبر ولم يلتفتوا للاحاديث التي نصت على ذلك.

أما مذهب الحنابلة في عذاب القبر فهو ثابت وواجب القول به، فهو حق وحكمة وعدل، على الجسم والروح والنفس يشتركون فيه كاشتراكهم في المعصية، وإن كان نعيم كان على الجسم والنفس والروح فيشتركون في التعيم كما يشتركون في الطاعة، خلافًا للمبتدعة[١].

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦][٢].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى أخبر أنهم يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا، وقد علم أنهم وهم أحياء على ظهر الأرض، وأنه لا غدو ولا عشيّ في القيامة أنهم يعرضون عليها في القبر[٣].

(١) مختصر المعتمد (١٧٨).
(٢) انظر الايضاح لابن الزاغوني (٥٦٥).
(٣) مختصر المعتمد (١٧٨).

Сканировано с CamScanner

.....

ودل على ذلك حديث النبي ﷺ بقوله: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»[1].

وقد روى عذاب القبر ونعيمه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر بن الخطاب وابن عمر والبراء بن عازب والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم[2].

ويدل على مسائلة الملائكة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا قبر الميت، أو قال: أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبدالله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له، نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢١/ ١١٩). ومسلم (٤/ ٢١٩٩).

(٢) مختصر المعتمد (١٧٩).

(٣) سنن الترمذي (٢/ ٣٧٤).

Сканировано с CamScanner

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

قوله: **والبعث بعد الموت حق.**

البعث بعد الموت حق والإيمان به واجب، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]. والنفخات في الصور ثلاث:

والنفخ: نَفَخ بِفَمِهِ يَنْفُخ نَفْخًا إِذا أَخرج مِنْهُ الرِّيحَ[(١)].

والصورُ: القَرْنُ الذي يُنْفَخُ فيه، وهو كهيئةِ البوق[(٢)].

النفخة الأولى:

نفخة الفزع: وهي التي تأتي بعد علامات الساعة الكبرى ويتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]. أي: من رجوع ومرد، وقوله تعالى ﴿فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل غير ذلك.

النفخة الثانية:

فخة الصعق، وفيها هلاك كل شيء، قال تعالى: ﴿فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقد فسر الصعق بالموت.

وفي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه: «ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق

---

(١) لسان العرب (٣/ ٦٢).

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٢/ ٤١٧).

Сканировано с CamScanner

.....

أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل، وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: فليمت جبريل وميكائيل فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش، فيموتون، ويأمر الله العرش أن يقبض الصور من إسرافيل، فيموت ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: ربي قد مات حملة العرش، فيقول وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت أنا، فيقول:

أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار طوى السماء والأرض كطي السجل للكتب، وقال:

أنا الجبار، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]. ثلاث مرات، فلم يجبه أحد، ثم يقول لنفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

النفخة الثالثة:

نفخة البعث والنشور، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها، وأخبار تشير إليها كقوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]. وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ـ١٠].

قال الكلبي وغيره: هي نفخة البعث، والناقور فاعول من النقر، وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٤١ـ٤٢]. الآية، قال المفسرون:

Сканировано с CamScanner

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلا بهما، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ،.....

المنادي هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[١].

قوله: **ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلا بهما.**

الحشر: الجمعُ وضَمُّ المتفرِّقِ.

يوم القيامة: يوم بَعْثِ الخَلق.

أشار المصنف رحمه الله إلى حشر الناس من القبور بعد بعثهم، واستدل بحديث رسول الله ﷺ: «يحشر الله العباد، وأومأ بيده قبل الشام، عراة حفاة غرلا بهما»، قال: قلت: ما بهما؟، قال: «ليس معهم شيء وينادي مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، حتى اللطمة»، قال: قلت: وكيف وإنما نأتي عراة غرلا بهما؟، قال: «الحسنات والسيئات»[٢].

معنى: غرلًا: الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء جمع أغرل وهو الأقلف

معنى: ليس معهم شيء من أعراض الدنيا[٣].

والذي عليه الحنابلة أن هذا البعث أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها، وأعراضها.

قوله: **فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ.**

---

(١) انظر لوامع الانوار البهية (٢/ ١٦١ ـ ١٦٣). مختصرًا

(٢) رواه احمد في المسند (١٣/ ١٣٢).

(٣) لسان العرب (١/ ٣٧٨).

Сканировано с CamScanner

ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين،.....

وهذا الموقف يأتي بعد حشر الناس لأرض المحشر، لفصل القضاء بين الناس، ويلقون حسابهم فمن عمل خيرًا سيلقاه، ومن عمل شرًا سيلقاه.

وهنا يأتي موقف النبي ﷺ الرحيم ويسمى الشفاعة الكبرى وقد أجمع المسلمون على ذلك.

ومعنى الشفاعة:

وهي لغة: الوسيلة والطلب.

وعرفًا: سؤال الخير للغير، أنها مشتقة من الشفع الذي ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له، من شفع يشفع بفتح العين المهملة شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة، والمشفع الذي تقبل شفاعته[1].

والأصل في ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

هو مقامُ الشفاعةِ، يَغْبِطُهُ به الأولونَ والآخِرون؛ لأنَّ كلَّ مَنْ قُصِدَ من الأنبياءِ للشفاعةِ يحيدُ عنها، ويُحيلُ على غيرِه حتى يأتوا محمدًا ﷺ للشفاعة، فيقول: «أَنَا لَهَا» ثم يشفعُ، فَيُشَفَّعُ فيمن كانَ من أهلِها[2].

قوله: **ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين.**

أجمع المسلمون على أن الإيمان والاعتقاد بالحساب نصب الموازين واجب وأنه

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١). لسان العرب (٣/ ٥٥).
(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٤/ ١٢٣). رواه البخاري (٩/ ١٤٩). ومسلم (١/ ١٨٢).

Сканировано с CamScanner

وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١١].

حق وواقع.

فيحاسب العباد على ما قدموه من عمل.

ولحساب لغةً: العدُّ والإحصاء[1].

وشرعًا: هو: إطْلاع الله تعالى عبادَه على أعمالهم قبلَ الانصِراف من المحشَر خيرًا كانت أو شرًّا.

والأدلة على الحساب، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦]. وقوله الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]. وتنصب الموازين ليقام العدل.

كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. أي: ذوات القسط، والقسط: العدل.

والديوان هو الصحف التي كتبت فيها الملائكة الكتبة الحفظة، وأحصوا فيها أعمال العبد، ولكل عبد ديوان ينشر أمام صاحبه.

قوله: وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾

---

(١) مختار الصحاح (١٦٧).

Сканировано с CamScanner

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

[الانشقاق: ٧ ـ ١١]. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢].

لقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

قال تقي الدين ابن تيمية رحمه الله: «تنشر الدواوين ـ وهي صحائف الأعمال ـ فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره»[(١)].

قوله: **والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال** ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣]. دليل ذلك.

عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: «ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان»[(٢)].

والله تعالى يضع ميزانًا يوم القيامة توزن به الصحائف التي تكون فيها اعمل العباد مكتوبة، وله كفتَّان، أحدهما للحسنات وهي تهوي إلى الجنّة والأخرى للسيئات وهي تهوى إلى النار، ولسان يكلّمه به ويخبره عما تزن به الحسنات ويجعل رجحان طاعاته علامة على أنه من أهل الجنة، وخفتها علامة لشقوته[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

(٢) شرح اعتقاد السنة للالكائي (٦/ ١٢٤٥). وشعب الإيمان (١/ ٤٤٧).

(٣) مختصر المعتمد (١٧٥).

Сканировано с CamScanner

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار،.....

قوله: **والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار.**

الصراط: جسر ممدود على جهنم.

الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحمى من الجمرة، وأن الكافرين معذبون بالمشي عليه، وأن النار تلحقهم، ثم تعدل بهم إليها، وأن من المؤمنين من يلحقه وهج جهنم وتمس أبدان بعضهم، ويكون ذلك بقدر ما ينالهم ثم ينجون ويتخلصون منها بعد ذلك برحمة الله تعالى، أو شفاعة نبينا ﷺ او غيره، فإن منهم من يخف عليه عبوره، ومنهم من تلحقه الشدة ومنهم من يسعى عليه، ومنهم الماشي، ومنهم من يحبون حبوًا، فيكون فصلًا بين الشقي والسعيد فمن كان سعيدًا حمله عليه بريح تمسكه، أو بضرب من لطفه، ومن كان شقيًا خلّاه فيزل عنه، وعرف بذلك سعادة وشقاء الساقط، ومن خلط الخير بالشر منعه الله من السقوط لما معه من الحسنات، وكشف لأهل الموقف عن اختلاف المنازل[1].

وقد وردت أحاديث وصفت الصراط فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: «لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء، والناس عليه كالطرف وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه»[2].

---

(١) المصدر السابق (١٧٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤١/ ٣٠٢).

Сканировано с CamScanner

.....

وعن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف»[١].

عن أبي سعيد أيضا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومخدوش به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها»[٢].

و عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم يمرون، والملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم[٣].

قوله: **ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.**

وحوض النبي ﷺ ثابت بإجماع أهل الحق، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. وقد ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الأحاديث عنهم واحدا واحدا، والله أعلم[٤].

فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض، قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ،

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٥/ ٣٤٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الايمان (١/ ٥٧٠).

(٤) لوامع الأنوار (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٥).

Сканировано с CamScanner

ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما، فيدخلون الجنة بشفاعته،.....

عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل»[(١)].

قوله: **ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما، فيدخلون الجنة بشفاعته.**

تقدم بيان معنى الشفاعة.

وللنبي ﷺ شفاعات ثمانية منها خاصة به وذكر المصنف رحمه الله منها الشفاعة العظمى وقد تقدم، ومنها مشتركة بينه وبين الأنبياء وذكر منها شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته من النار.

وصحت فيها أحاديث منها:

حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[(٢)].

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»[(٣)].

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحا، أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٩٨)

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٠/ ٤٣٩).

(٣) رواه البخاري (٨/ ١١٦).

Сканировано с CamScanner

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدًا ﷺ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك: سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدا، ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة، أو الرابعة، حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن». وكان قتادة، يقول عند هذا: «أي وجب عليه الخلود»[1].

قوله: **ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.**

ومن الثابت في اعتقاد الحنابلة رضي الله عنهم أن سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون، وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك، وترادف الآثار على ذلك، وهو أمر جائز غير مستحيل، فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل، وهذا اكرام من الله تعالى لمن اصطفاهم من انبيائه ورسله.

وقد ثبت ذلك في الحديث الطويل: «..... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون،

---

(١) المصدر السابق.

Сканировано с CamScanner

.....

فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة، يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، وإلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه «[1].

قوله: **قال تعالى:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. **ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.**

الأصل في الشفاعة ملك لله وحده، ومن رحمته بعباده أن وهبها من شاء من عباده، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]. فالشفاعة لا تعطى إلا لمن ﷺ من عباده:

قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. في هذه الآية دليل على أنه ليس لكل أحد تطلب له الشفاعة.

ووجه الاستدلال: قوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وللشفاعة شروط بينها الله تعالى في كتابه وهي:

١- رضا الله سبحانه عن الشافع، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. وجه الاستدلال: قوله تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] إلى قوله: ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩]، وهو الشافع، واللام الداخلة على ذلك لام التعليل،

(١) رواه البخاري (٩/ ١٢٩).

Сканировано с CamScanner

.....

أي: رضي الرحمن قول الشافع لأجل الشافع، أي: إكرامًا له.

٢ ـ رضا الله سبحانه عن المشفوع له، وهذا فيما عدا الشفاعة العظمى في الموقف، فإنها لجميع الخلق، من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم، ودليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. أي: لمن كان عند الله تعالى مرضيًا.

٣ ـ إذن الله سبحانه بالشفاعة، والإذن لا يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع له، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]. وجمل شروط الشفاعة هي:

١ ـ رضى الله تعالى عن الشافع.

٢ ـ رضى الله سبحانه عن المشفوع له.

٣ ـ إذن الله تعالى للشافع بالشفاعة.

قوله: **ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.**

الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين لقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

أي: من الملائكة والأنبياء والصالحين.

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. أنها النفس الكفارة، وليس كل نفس[1].

ويستثنى من ذلك الشفاعة الكبرى للحساب، فهي تشمل المؤمن والكافر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٧٩).

Сканировано с CamScanner

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٥]. ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت».

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت»[١].

والشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض الكفار كأبي طالب.

والجنة والنار مخلوقتان، وهما الداران، أحدهما دار الثواب والأخرى دار العقاب، وهما باقيتان، وهي الجنة التي كان فيها آدم ﷺ وابليس اللعين فأخرجهما، منها، وهي جنة الخلد التي يثاب فيها المؤمنون، خلافًا للمعتزلة[٢].

قال الخلال: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال: سمعت أبا عبدالله وسألته، فقال: الجنة والنار قد خلقتا، وفي هذا حجة أن رؤيا الأنبياء في الأحلام رأي العين، وليس حلمهم كسائر الأحلام[٣].

والأدلة على أنهما مخلوقتان:

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٩٣).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٢٧٣ - ٢٧٤).
(٣) مختصر المعتمد (١٨٠). والايضاح لابن الزاغوني (٥٥٦).

Сканировано с CamScanner

.....

وجه الاستدلال:

أن قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران: ١٣١]. فلا يجوز أن يقال أعدت إلا وذلك المعد موجود غير معدوم.

كمن قال لغيره قد أعددت لك طعامًا وشرابًا، ودارًا إلا وما ذكره موجودًا غير معدوم.

وقد رد الإمام أحمد رضي الله عنهم على المعتزلة في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة تفصيليًا.

ومما يجب الإيمان به والاعتقاد الخلود لأهل الجنة ولأهل النار.

والدليل على ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]. وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩][1].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٦/ ٩٣).

Сканировано с CamScanner

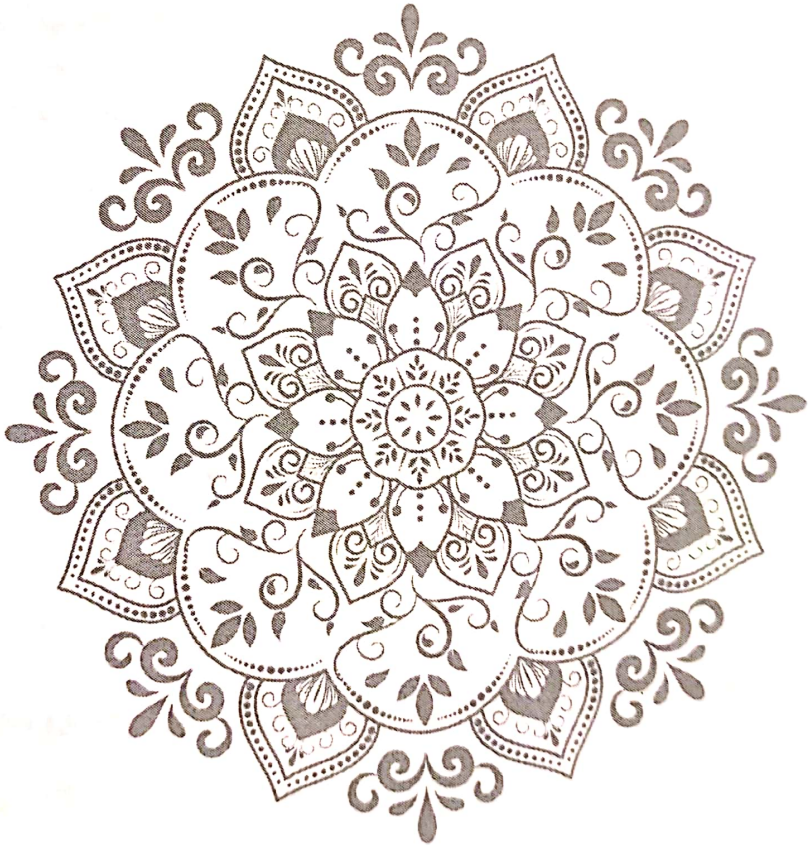

Сканировано с CamScanner

(محمد خاتم النبيين)

محمد خاتم النبيين ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين،

قوله: **ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين.**

ذكر المصنف رحمه الله جملة من خصائص النبي ﷺ ودلائل نبوته وبدأها بأنه خاتم الأنبياء والرسل.

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: إن «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[(١)].

فببعثته ختمت الرسل وبرسالته ختمت الرسالات فمن ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر.

قوله: **وسيد المرسلين.**

قال ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[(٢)]. وفي لفظ «أنا سيد الناس يوم القيامة»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٨٦). ومسلم (٤/ ١٧٩١).

(٢) مسلم (٤/ ١٧٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٨٤). ومسلم (١/ ١٨٤).

Сканировано с CamScanner

لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.....

والسيد: هو مقدم قومه وأكرمهم وأفضلهم.

والولد: كل من ولِدَ من ذكر أو انثى.

وقوله: سيد ولد: وهو مفرد مضاف يعم جميع بني آدم، فيدخل الأنبياء في هذا العموم.

وقوله: الناس: جمع معرف بألف واللام يعم.

قوله: **لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته.**

رسالة النبي ﷺ الإسلام ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(١).

قوله: **ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته.**

وقد ثبت ذلك في بيان المقام المحمود الذي يحمد الخلق نبينا ﷺ عليه هو مقام الشفاعة

قوله: **ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.**

لقوله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق

(١) رواه مسلم (١/ ١٤٣).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٥).

Сканировано с CamScanner

صاحب لواء الحمد والمقام المحمود.....

وقال ﷺ: «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»[١].

قوله: **صاحب لواء الحمد.**

ومن خصائص النبي ﷺ أنه صاحب لواء الحمد.

لقول رسول الله ﷺ «وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر»[٢].

معنى لواء الحمد: اختلف في تفسيره:

قال الطيبي لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد

وقال التوربشتي لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد ودونه تنتهي سائر المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرون وإليه الإشارة بقوله آدم ومن دونه تحت لوائي انتهى

قال صاحب تحفة الأحوذي: حمل لواء الحمد على معناه الحقيقي هو الظاهر بل هو المتعين لأنه لا يصار إلى المجاز مع إمكان الحقيقة[٣].

قوله: **والمقام المحمود.**

قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لي،

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط (١/ ٢٨٩).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٤٣).

(٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٨/ ٤٦٥).

Сканировано с CamScanner

والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.....

ويرحبون بي، فيقولون: مرحبا، فأخر ساجدا، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]»[١].

قوله: **والحوض المورود.**

لقول رسول الله ﷺ: «وددت أني قد رأيت إخواننا». قالوا: يا رسول الله أولسنا بإخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض». قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: «أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟». قالوا: بلى يا رسول الله قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، ألا هلم، ألا هلم ثلاثا». فيقال: إنهم قد بدلوا، فأقول: «فسحقا، فسحقا، فسحقا»[٢].

قوله: **وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم.**

«إذا كان يوم القيامة، كنت إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، غير فخر»[٣].

إمامته للأنبياء ظاهرة في الدنيا حين أمَّهم ليلة الإسراء والمعراج، وتظهر إمامته لهم في الآخرة حين يتدافع أولو العزم من الرسل الشفاعةَ، ثم تصير إليه ﷺ فيشفع.

قوله: **أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.**

(١) رواه الترمذي (٥/ ٣٠٨).
(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٣٣).
(٣) رواه أحمد في المسند (٤٥/ ١٧٤).

Сканировано с CamScanner

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ﷺ أجمعين، لما «روى عبدالله بن عمر ﷺ قال: كنا نقول والنبي ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»[١].

أما أمته خير الأمم فلحديث النبي ﷺ «وجعلت أمتي خير الأمم»[٢].

وأما أصحابه خير أصحاب الأنبياء فلقوله ﷺ «سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال: أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»[٣].

قوله: **وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ﷺ أجمعين، لما «روى عبدالله بن عمر ﷺ قال: كنا نقول والنبي ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»**[٤].

وهذا ما ذهب إليه الإمام ﷺ عنه في تفضيل الصحابة ﷺ.

أي ليس في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق

والأدلة على ذلك منها:

ما رواه نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ»[٥].

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٠٦). والترمذي (٦/ ٧١).

(٢) المصدر نفسه (٤٥/ ٤٦١).

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٧٦).

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٠٦). والترمذي (٦/ ٧١).

(٥) رواه البخاري (٥/ ٤).

Сканировано с CamScanner

وصحت الرواية عن علي ﷺ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث»، وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»،.....

وفي رواية قال سالم بن عبدالله: إن عبدالله بن عمر قال: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ»[١].

قوله: **وصحت الرواية عن علي ﷺ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث»**[٢]. **وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»**[٣].

وهذا الحديث دليل آخر على ما ذهب إليه الإمام أحمد ﷺ من تفضيل الصحابة ﷺ.

وفضل أبي بكر الصديق ﷺ ذكر في القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقد أثنى النبي ﷺ على صاحبه أبي بكر الصديق ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه: أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٠٦). والترمذي (٦/ ٧١).
(٢) رواه احمد في المسند (٢/ ٣١٥).
(٣) رواه احمد في فضائل الصحابة (١/ ١٥٢).

Сканировано с CamScanner

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده.....

باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[1].

أفضيلة أبي بكر الصديق مجمع عليها بين الأمة.

هو خير هذه الأمة، وخير الناس بعد الأنبياء؛ ولذلك في سقيفة بني ساعدة كان أبو عبيدة بن الجراح مع عمر بن الخطاب، فقام أبو عبيدة فقال: يا عمر! ابسط يدك لأبايعك، فقام عمر بن الخطاب كأنه كالأسد الثائر فقال: تقول ذلك لي وفيكم أبو بكر؟ لأن يضربوا عنقي خير لي من أن أتقدم على أبي بكر رضي الله عنه، أو أتأمر على أناس فيهم أبو بكر رضي الله عنه.

وقال عبد الرحمن بن عوف كما روي عنه بسند صحيح: ما سبق أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه.

قوله: **وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده.**

واعلم أن تنصيب الخليفة يكون بطرق:

أحدها: النص. أي بأن يعهد الإمام إلى إنسان ينص عليه بعده، ولا يحتاج في ذلك إلى موافقة أهل الحل والعقد كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة إلى عمر الفاروق رضي الله عنهما.

الثاني: بالاجماع: وتكون التولية من أهل الحل والعقد من المسلمين كإمامة الصديق الأعظم أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ فإذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٤).

Сканировано с CamScanner

عمر ﷺ لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان ﷺ، لتقديم أهل الشورى له، ثم علي ﷺ، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

الناس الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت إمامته.

وكذا في جعل الأمر شورى في عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم، فإذا اتفقوا على واحد منهم صار إماما كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ حيث جعل أمر الإمامة بين ستة أنفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان ﷺ.

الثالث: بالقهر والغلبة بالسيف على الناس حتى يذعنوا له ويدعوه إماما فتثبت له الإمامة.

وأبو بكر الصديق ﷺ خليفة رسول الله ﷺ حقًا، وخلافته مشهورة متفق عليها، وقد تولى الخلافة بطريق اجماع الصحابة ﷺ.

قال علي ﷺ: «لما قبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا، فوجدنا النبي ﷺ قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا ما رضي رسول الله ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر رحمه الله»[1].

قوله: **ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده عمر ﷺ لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان ﷺ، لتقديم أهل الشورى له، ثم علي ﷺ، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.**

فيه مباحث:

الأول: عدم اجتماع الأمة على ضلالة لحديث أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم»[2].

وهو دليل حجية الإجماع كما هو مقرر.

---

(١) السنة لابي بكر الخلال (١/ ٢٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٥/ ٩٦).

Сканировано с CamScanner

.....

فدل اجماع الصحابة ﷺ على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

الثاني: الاستخلاف: وهي طريق تولية عمر ﷺ الإمامة.

فقد عهد أبو بكر الصديق ﷺ ووصى بالخلافة من بعده للفاروق عمر ﷺ.

عن إبراهيم النخعي قال: أول من ولى أبو بكر شيئا من أمور المسلمين عمر بن الخطاب، ولاه القضاء، وكان أول قاض في الإسلام عن الحسن بن أبي الحسن قال: لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلا ميت لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم؛ فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي فقاموا في ذلك وخلوا عليه فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك قال: فلعلكم تختلفون، قالوا: لا قال: فعليكم عهد الله على الرضى، قالوا: نعم قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان فقال: أشر علي برجل، ووالله إنك عندي لها لأهل وموضع فقال: عمر فقال: اكتب، فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه، ثم أفاق فقال: اكتب عمر[1].

وعن الزهري قال: حدثني القاسم بن محمد أن أسماء بنت عميس، أخبرته أن رجلا من المهاجرين دخل على أبي بكر ﷺ حين اشتد وجعه الذي توفي فيه، فقال: قد استخلف على الناس رجلا فظا غليظا، فقال أبو بكر: «أتفرقوني بالله ﷻ؟ فإني أقول لله تعالى: استخلفت عليهم خير أهلك»[2].

الثالث: تولية عثمان ﷺ الخلافة بعد عمر ﷺ بطريق عهد التولية لأهل الحل والعقد.

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٦٦٦).

(٢) مصنف ابن ابي شيبة (١٧/ ٦٨).

Сканировано с CamScanner

.....

وقد روى الخبر علي ﷺ بطوله: «إن عمر كان رشيد الأمر، وإنه ناصح الله فنصحه».

فكان من رشاد عمر ونصحه لله ولرسوله ولجماعة المسلمين، وذلك بتوفيق الله له: أن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر من المهاجرين الأولين ممن شهد الله لهم بالرضى عنهم، فشهدوا بيعة الرضوان، ومن شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، أصحاب حراء وأهل بدر والحديبية ومات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وأخرج ولده وعصبته منها، وقال لهم: «إذا أجمعتم على واحد منكم فهو الخليفة عليكم»، وكانوا ستة رهط: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن، فاجتمعوا ثلاثة أيام متوالية لا يألون جهدا والأمة نصحا، فرضوا أجمعون بعثمان بن عفان ﷺ، فكان أول من بايعه علي بن أبي طالب وبقية الرهط، ثم على أثرهم جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار وهم به وبخلافته راضون، لم يختلف فيه اثنان، ولم تفترق فيه فئتان، وذلك لما عرفوا من فضله، وسبق إسلامه وتقديم رسول الله له، وما كان من عظيم عنائه في الإسلام، وحسن بلائه، وكثرة مناقبه وسوابقه، والمآثر التي كانت منه في مصالح المسلمين وتأييد الإسلام، حتى شاعت وذاعت وكثرت فشهرت، لا يشكك فيها أحد تذوق طعم الإيمان، ولا أحد تنشق روائح الإسلام، ولا ينكرها ويأبى قبولها إلا عبد شقي يغمص الإسلام وأهله، قد غل صدره ونغل قلبه وحرم التوفيق، وعدل به عن الرشاد، وغلبه الهوى، فحل به الشقاء»[1].

الخامس: والإمامة لعلي بن أبي طالب ﷺ بعد عثمان ﷺ.

والدليل على توليته اجماع الصحابة ﷺ وذلك أن اهل الحل والعقد عقدوها لعلي ﷺ.

ووقعت مبايعة علي ﷺ بعدما قتل علي كما روى الحادثة سالم بن أبي الجعد عن

(١) الابانة لابن بطة العكبري (٨/ ٤٢).

Сканировано с CamScanner

هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» وقال ﷺ: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.

محمد بن الحنفية قال كنت مع علي رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه محصور فأتاه رجل فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال فقام علي فأخذت سوطه تخوفا عليه فقال خل لا أم لك فأتى علي الدار وقد قتل عثمان رضي الله عنه فأتى داره فدخلها وأغلق بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا إن عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك فقال لهم علي رضي الله عنه لا تريدوا فإني أكون لكم وزيرا خير من الأمير قالوا لا والله ما نعلم أحدا أحق بها منك قال فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني فخرج إلى المسجد فبايعه الناس»[1].

السادس: **هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» وقال ﷺ: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة»[2] فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.**

أي من تقدم ذكرهم سماهم النبي ﷺ الخلفاء الراشدون المهديون كما ورد في الحديث.

واستدل إمامنا وعلماء المذهب في حال إذا تعارض نصان وعمل بأحدهما الخلفاء الراشدون، فيرجح النص الذي عمل به الخلفاء الراشدون استدلالًا بحديث «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[3].

---

(١) المصدر نفسه (٨/ ٣٠٣).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٢٠٠).

(٣) المصدر نفسه.

Сканировано с CamScanner

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[١].

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها.....

ومما يجب التصديق بما أخبر به النبي ﷺ وهي الشهادة للعشرة المبشرين بالجنة لحديث النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة رضي الله عنهم»[٢].

وبعد الخلفاء الراشدين يأتي بقية العشرة المبشرة وهم:

طلحة.

والزبير.

وعبد الرحمن بن عوف.

وسعد بن أبي وقاص.

وسعيد بن زيد

وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بالجنة تصديقًا بما اخر به النبي ﷺ

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٢٢٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٢٩).

Сканировано с CamScanner

كقوله: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١]. **لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة»**[٢].

مثل: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣].

وقد ثبت لغير من تقدم ذكرهم البشارة بالجنة.

منهم: اصيرم بن عبد الأشهل:

فقد ثبتت بشارته بحديث واحد كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش، قال الحصين: فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، قال: فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، وما جاء؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؟ قالوا: ما جاء بك يا عمرو، أحدبا على قومك، أو رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله فقاتلت حتى أصابني ما أصابني، قال: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة»[٤].

وبلال بن أبي رباح:

---

(١) المصدر نفسه. (٢/ ٧٧١).

(٢) المصدر نفسه. (٢/ ٧٧١).

(٣) رواه احمد في المسند (١٩/ ٣٩١).

(٤) رواه أبو أحمد في المسند (٢٩/ ٤٢).

Сканировано с CamScanner

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ،...

وثبتت له البشارة بالجنة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: عند صلاة الغداة «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته، عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة».

قال بلال: ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعة، من أني لا أتطهر طهورا تاما، في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور، ما كتب الله لي أن أصلي»[1].

وقد ثبتت البشارة بالجنة أيضًا لكل من:

ثابت بن قيس، وجعفر بن أبي طالب، وحارثة بن سراقة، وحذيفة بن اليمان، وذكوان بن قيس، وزيد بن حارثة، وسعد بن معاذ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: **ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ.**

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله»[2].

أي: لا نحكم حكمًا قاطعًا على أحد من أهل القبلة بأنه من أهل الجنة، ولا نحكم على أحد بأنه من أهل النار، إلا ما ورد به النص عن النبي ﷺ، لأن المآل غير معلوم لنا فنفوض علم ذلك لله تعالى وهذا في المسلمين من أهل القبلة.

مثال من شهد له النبي ﷺ بالجنة، كالعشرة المبشرة، وغيرهم ممن حكم لهم بالجنة.

ولا نعين أحدًا بذلك.

ومثال من نشهد لهم بالنار، ما ورد به النص، كأبي لهب وزوجه، وعمرو بن لحى.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩١٠).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٥).

Сканировано с CamScanner

لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

قوله: **لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.**

ونرجو لمن ظاهره الاحسان والتزام فرائض الإسلام واجتناب نواهيه أن تكون عاقبته خيرًا والجنة لا جزمًا كما تقدم.

وهذا معتقد الحنابلة المقتفي لاعتقاد السلف وهو رحمة أهل السنة والأثر بالمسيء فيدعون له ويخافون على عاقبته.

قوله: **ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله ﷺ حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»**[1].

هذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ومستندهم في ذلك حديث: «ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل»[2].

أي لا نحكم بكفر على مسلم من أهل القبلة بذنب كالسرقة والزنا وشرب الخمر، ونسمه مسلمًا ناقص الإيمان خلافًا للخوارج، ما لم يستحله، بأن قال: الخمر حلال، والزنا حلال ونحو ذلك نسأل الله السلامة.

ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، معصية أو ذنب، ما لم يكن العمل مناقضًا للدين.

ويجمع ذلك كله حديث النبي ﷺ: «إذا قال الرجل للرجل: يا كافر فقد باء به أحدهما

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٢٤). ونقل الأئمة لنص الحديث دون نسبته يدل على تلقيهم هذا النص بالقبول. والله اعلم.

(٢) المصدر نفسه.

Сканировано с CamScanner

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم.

إن كان كما قال، وإلا رجعت على الآخر»[١].

قال ابن حمدان رحمه الله: «ومن كَفَّر من ليس بكافر معتقدًا كُفْرُهُ، كَفَرْ، ومن فسَّقَ من ليس بفاسق معتقدًا فِسْقُهُ فَسَقْ»[٢].

قوله: **والجهاد ماض منذ بعثني الله ﷺ حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار.**

وهذا هو الواجب على الأمة اعتقاده أن الجهاد في سبيل الله تعالى ماضٍ ومستمر حتى آخر من يقاتل.

حتى ولو كان الإمام ظالمًا جائرًا فلا يبطله ظلم الأمام، ولا عدله.

قوله: **ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم.**

التولي: من الولاء: وفي اللغة: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلانًا: إذا أحبه[٣].

والمولى: اسم يقع على جماعة كثيرة، منها: الناصر، والمحب، والتابع[٤].

ومعنى تولي أصحاب رسول الله ﷺ: محبتهم ونصرتهم ومتابعتهم، وذكر محاسنهم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٩/ ٧٣).

(٢) نهاية المبتدئين (٧٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٩٢٢).

(٤) المصدر نفسه.

Сканировано с CamScanner

واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

ومن **فضلهم** ﷺ **بالجملة** فهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ورسله، فقد اصطفاهم الله تعالى لصحبة رسول الله ﷺ، وفازوا بتلك الصحبة المباركة العظيمة.

فعن النبي ﷺ قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ـ قال عمران فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا»[(١)].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «إن الله ﷻ اطلع في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، ثم اطلع في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لدينه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ»[(٢)].

ومن حقوقهم الواجبة علينا: الاستغفار لهم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

وعن قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال بعد قراءته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الآية: «إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ ولم يؤمروا بسبهم»[(٣)].

ونحن مأمورون بالاستغفار لهم، كما روى هشام بن عروة عن أبيه، قال: قالت لي

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢). ومسلم (٤/ ١٩٦٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٥٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٤ – ٤٥).

Сканировано с CamScanner

.....

عائشة: يا ابن أختي: «أُمِرُوا أَنْ يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم»[١].

ومن حقوقهم الواجبة علينا الكف عن ذكر مساوئهم لما تقدم من الأدلة، ولأمر رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[٢].

ومعنى: نصيفه: نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء، والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة أصحابي في مد ولا نصف مد، لأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقا، وأن فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم.

ولقول رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[٣].

ولقول رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا: لعنة الله على شركم»[٤].

والكف عما شجر بين الصحابة ﷺ من خلاف وقتال.

قد انعقد اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الكف واجب، والخوض فيه محرم، لجهلنا بما حصل بينهم، ولأننا لن نسأل عن ذلك، ولأنهم مجتهدون في الأحكام.

وسأل رجل الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه،

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٣١٧).

(٢) رواه البخاري (٥/ ٨). ومسلم (٤/ ١٩٦٧).

(٣) رواه الترمذي (٦/ ١٧٩).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ١٨٠).

Сканировано с CamScanner

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١).

فقيل له: يا أبا عبدالله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٣]»(٢).

قال الخلال: أخبرنا أبو بكر المرُّوذي قال: قيل لأبي عبدالله ونحن بالعسكر، وقد جاء بعض رسل الخليفة، وهو يعقوب؛ فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبدالله: ما أقول فيها إلا الحسنى، رحمهم الله أجمعين.

قال الخلال: أخبرنا محمد بن المنذر بن عبد العزيز، قال: ثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: سألت أبا عبدالله قلت: ما تقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة، وأظن ذكر معاوية؟ فقال: من أنا؟! أقول في أصحاب رسول الله ﷺ كان بينهم شيء؟! الله أعلم»(٣).

ولا يسيء للصحابة رضي الله عنهم إلا مبتدع ضال مضل، وهذا نهج أهل الأهواء كالرافضة والخوارج.

وقد بين العلماء حكم سب الصحابة والانتقاص منهم.

* حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن حمدان رحمه الله: «من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه: يكفر مطلقا، وإن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٨). ومسلم (٤/ ١٩٦٧).
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٤/ ٥٥٧).
(٣) السنة للخلال (١/ ٣٦٢).
(٤) نهاية المبتدئين (٦٦).

Сканировано с CamScanner

ومن السنة: الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

قوله: من السنة: أي من العقيدة.

لأزواج النبي ﷺ فضل على عموم النساء، وذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس قدركن عندي مثل قدْر غيركنّ من النساء الصالحات، أَنْتُنَّ أكرم عليَّ وثوابكُنَّ أَعْظم لَدَيَّ»[1].

وأول فضائلهن وصف الله تعالى لهن في كتابه بالزوجية كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]. ومن فضائلهن، أن السنة تتلى في بيوت أزواج النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ومن فضائلهن جعلن أمهات المؤمنين توقيرًا للنبي ﷺ وتأكيدًا لحرمتهن وتشريفًا لهن كما قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

قوله: **أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق.**

وهذا ماعليه جماهير العلماء، ومنهم من قال لكل منهما فضائل.

وقد عد إمامنا رحمه الله فضائل امنا خديجة، وعائشة رضي الله عنهما ورحمهما الله تعالى.

قوله: **التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.**

---

(١) تفسير البغوي: (٣/ ٦٣٥).

Сканировано с CamScanner

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين ﷺ.

ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين - برهم وفاجرهم - ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله،.....

وقد أنزل الله على النبي ﷺ آيات البراءة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]. وحكم من سب أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق فقد كفر اتفاقًا، لأنه أنكر نصًا من القرآن.

قال القاضي أبو يَعْلَى: «مَن قَذَفَ عائشةَ بما برَّأها الله منه، كَفَرَ بلا خلاف»[1].

قوله: **ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين ﷺ.**

ومن السنة اعتقاد أن معاوية خال المؤمنين خلافًا للرافضة، وتقصدهم للطعن به بسبب ما جرى مع خليفة رسول الله ﷺ وابن عمه وزوج ابنته.

قال الخلال: أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدَّثهم، قال: وجهنا رقعة إلى أبي عبدالله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول: إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبًا؟ قال أبو عبدالله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ويبين أمرهم للناس[2].

قوله: **ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين - برهم وفاجرهم - ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.**

أي من العقيدة عند الحنابلة السمع والطاعة لمن تولى أمر المسلمين من حكام وأمراء

---

(١) الصارم المسلول (٣/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥٤).

(٢) السنة للخلال (٤/ ٤٦٥).

Сканировано с CamScanner

.....

وسلاطين بطرق التولية المذكورة عند العلماء، والمراد بهم من أقاموا شرع الله تعالى بما فيه من تنصيب القضاة لإعادة المظالم، وسد الثغور بالجيوش صيانة لبيضة الإسلام والمسلمين.

والسمع والطاعة لهم سواء كان برًا أو فاجرًا، والطاعة مقيدة بما لم تكن هناك معصية.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن حمدان رحمه الله:

«وتجب طاعته في الطاعة، وتحرم في المعصية، وتسن في المسنون، وتكره في المكروه»[١].

ولقد نسب للإمام أحمد ﷺ ما ليس من مذهبه في مسألة طاعة الحكام المطلقة، ولا يجوز الإنكار عليهم، حتى لو دعا إلى بدعة.

الإمام أحمد ﷺ لم يدعو إلى الخروج على الحاكم، وقيد ذلك بكونه مشروط بأن عاقبته دماء المسلمين.

ولا شك أن هنالك فرق بين الإنكار وعدم الطاعة في المعصية والمجاراة في البدعة، وبين الدعوى للخروج على الحكام.

والإمام أحمد ﷺ أنكر على الحاكم، وعصاه في ذلك ولم يطعه، وفضل السجن على القول بالبدعة، لاسيما وأن ابن أبي دؤاد كان وزيرًا عند الخلفاء حين وقعت المحنة، وهذا معلوم منصوص في ترجمة الإمام ومحنته.

قال أبو الفضل التميمي رحمه الله ناقلًا عن الإمام أحمد ﷺ عقيدته في الإمام الداعي إلى بدعة: وكان يقول: «من دعا إلى البدعة فلا تجيبوه ولا كرامة»[٢].

---

(١) نهاية المبتدئين (٦٣).

(٢) اعتقاد الإمام لأبي الفضل التميمي (٨١).

Сканировано с CamScanner

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

وصفة الإنكار على الإمام قال عنها ابن مفلح رحمه الله:

«ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظا له وتخويفا أو تحذيرا من العاقبة في الدنيا والآخرة فإنه يجب ويحرم بغير ذلك ذكره القاضي وغيره والمراد ولم يخف منه بالتخويف والتحذير وإلا سقط وكان حكم ذلك كغيره»[1].

وقال: وإن دعا الإمام العامة إلى شيء وأشكل عليهم لزمهم سؤال العلماء فإن أفتوا بوجوبه قاموا به، وإن أخبروا بتحريمه امتنعوا منه، وإن قالوا هو مختلف فيه.

وقال الإمام: يجب، لزمهم طاعته كما تجب طاعته في الحكم، ذكره القاضي. وهل يسقط الإثم عمن لم يرض بالمنكر وسخط الإنكار ذكر ابن عقيل أنه رأي لبعض الفقهاء أنه لا يسقط، ثم ذكر احتمالا أنه يسقط أنه ظاهر قول أصحابنا ـ رحمهم الله ـ[2].

قوله: **ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.**

وفيه مسألتان:

الأولى: من ولي أمر الخلافة والحكم بأحد طرق التولية واجتمع الناس عليه ورضوا فيه.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٧٥).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٦٢).

Сканировано с CamScanner

ومن السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم،.....

الثاني: من تغلب بالسيف وصار خليفة.

وجبت طاعتهما وحرمت مخالفتهما طالما دعا الى طاعة وسنة.

ولا يجوز الخروج عليهما ولو ارتكبا فسقًا، لما في الخروج من مفسدة واراقة دماء المسلمين

قال حنبل: «اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبدالله وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك وقال عليكم بالإنكار بقلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر وقال ليس هذا صواب، هذا خلاف الآثار»[1].

قوله: **ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم.**

أي: من العقيدة.

والهجران: مأخوذ من الهجر: وهو ضد الوصل ومنه الهجرة: الترك.

يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه، عليه الصلاة والسلام، لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك[2].

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٥).

(٢) لسان العرب (٥/ ٢٥٠).

Сканировано с CamScanner

وترك الجدال والخصومات في الدين،.....

وهجرة أهل البدع في المذهب واجبة[١]، ولأهل المعاصي مستحبة، وتجب إن ارتدع[٢].

ومن مسائل العقيدة، هجرة أهل البدع ومفارقتهم، وهم كالجهمية والرافضة والخوارج والمعتزلة ومن على شاكلتهم.

قال ابن مفلح رحمه الله:

«قال أحمد في رواية الفضل وقيل له: ينبغي لأحد أن لا يكلم أحدا؟ فقال: نعم إذا عرفت من أحد نفاقا فلا تكلمه؛ لأن النبي ﷺ خاف على الثلاثة الذين خلفوا فأمر الناس أن لا يكلموهم قلت: يا أبا عبدالله كيف يصنع بأهل الأهواء قال أما الجهمية والرافضة فلا، قيل له: فالمرجئة قال: هؤلاء أسهل إلا المخاصم منهم فلا تكلمه، ونقل الميموني نهى النبي ﷺ عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا بالمدينة حين خاف عليهم النفاق، وهكذا كل من خفنا عليه»[٣].

قوله: **وترك الجدال والخصومات في الدين.**

والمراد بالجدال والخصومات: المناظرات.

والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا»[٤].

والمراء في اللغة: الجدال.

وقد نص الإمام أحمد رضي الله عنه[٥] كغيره من أئمة السلف ـ وهو أمر مجمع عليه ـ على

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٨).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٩٩)، وقلائد العقيان (٢٧٢).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٩٩).

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٥٣).

(٥) كما في أصول السنة من رواية عبدوس العطار، قال إمامنا: «وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة،=

Сканировано с CamScanner

وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة،.....

ترك الجدال والخصومات والمناظرات.

«وقال العباس بن غالب الوراق: قلت لأحمد بن حنبل يا أبا عبدالله أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيتكلم متكلم مبتدع أرد عليه قال: لا تنصب نفسك لهذا، أخبر بالسنة ولا تخاصم، فأعدت عليه القول. فقال: ما أراك إلا مخاصمًا»[1].

ووجوب هجر المبتدعة وترك الجدال والمناظرة على من عجز عن اصلاحهم والإنكار والرد عليهم، أو لم يأمن الاغترار بهم، ويجوز للقادر الآمن، بل يجب.

قوله: **وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم.**

والمراد بالمبتدعة، من ذكرهم المصنف كالجهمية والرافضة والمعتزلة والخوارج.

وفي زماننا المعاصر: كتب تغلفت بغلاف إسلامي[2]. وفي طياتها أفكار المعتزلة وعقائدها، وفي باطنها السم مدسوسًا، مثل العقلانيين وهو المرادف للمعتزلة في كثير من دعاواهم.

فهذه مما يحرم النظر فيها إلا من لمن كان اهلًا في بيان عوارها وبدعها وضلالاتها.

قوله: **وكل محدثة في الدين بدعة.**

كل: من صيغ العموم، فكل ما أحدث على غير مثال سابق في الشرع سواء في الفروع أو في الأصول (العقيدة) وهو مراد المصنف لأنه مثل بعد ذلك بأمثلة.

= وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال. والخصومات في الدين إلى أن قال لا تخاصم أحدا ولا تناظره، ولا تتعلم الجدال فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهي عنه لا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال».

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٥٣).

(٢) ككتب علي منصور الكيالي ومن على شاكلته.

Сканировано с CamScanner

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

درج أئمة المذهب على تخصيص فصل في بيان حال المبتدعة في نهاية مصنفاتهم، ومن ائمتنا من صنف مصنفًا مستقلًا[١]، لبيان ما هم عليه من البدع والضلالات وتمييزهم عن أهل السنة والأثر.

قوله: **وكل متسمٍ بغير الإسلام والسنة مبتدع.**

أي كل من تسمى باسم المعتزلة أو القدرية أو الخوارج ونحو هذه الأسماء من اهل البدع والضلال فهو مبتدع.

قال الإمام مالك: «أهل السنة ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا قدري، ولا رافضي»[٢].

وقد سئل الإمام مالك بن أنس عن السنة؟ قال: «هي ما لا اسم له غيره السنة»[٣].

وأول المبتدعة:

قوله: **الرافضة: اسم من أسماء الشيعة.**

---

(١) منها: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان تأليف (أبي الفضل عباس بن منصور الترينى السكسكي الحنبلي).

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر (٣٥).

(٣) الاعتصام (١/ ٧٩).

Сканировано с CamScanner

.....

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

«وقيل لها الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبي بكر وعمر ﷺ.

وقيل سموا الروافض لرفضهم زيد بن علي لما تولى أبا بكر وعمر ﷺ وقال بإمامتهما، وقال زيد: رفضوني، فسموا رافضة.

وأما الرافضة فتفرقت أربع عشرة فرقة:

القطعية، الكيسانية، الكريبية، العميرية، المحمدية، الحسينية، الناوسية، الإسماعيلية، القرامطة، المباركية، الشميطية، العمارية، الممطورية، الموسوية، والإمامية.

والذي اتفقت عليه طوائف الرافضة وفرقها، إثبات الإمامة عقلًا وأن الإمامة نص، وأن الأئمة معصومون من الآفات من الغلط والسهو والخطأ[1].

قوله: **والجهمية**.

فهم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرزجهم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هالك، كان في زمن صغار التابعين وما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًا عظيمًا.

ومن مقالتهم: أن الإيمان: هو المعرفة في القلب بالله وبرسله وبجميع ما جاء به، وإن لم يكن بإقرار اللسان ولا عمل جوارح، وأن إيمانهم كإيمان جبريل عليه السلام.

وأن الله تعالى ليس شيئًا، وأن علم الله محدث أحدثه لنفسه بعد أن لم يكن علمًا.

---

(١) الغنية لطالبي الحق (١/ ١٧٩).

Сканировано с CamScanner

.....

ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله تعالى لم يكلم موسى، وأنه تعالى لم يتكلم ولا يرى ولا يعرف له مكان وليس له عرش ولا كرسي، ولا هو على العرش.

وأنكروا الموازين وعذاب القبر، وكون الجنة والنار مخلوقين.

قوله: **والخوارج.**

سموا الخوارج؛ لخروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ، يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله تعريضًا بسب علي ﷺ وخرجوا من قبضته وقالوا شككت في أمرك وحكمت عدوك من نفسك فسموا بذلك الشكاكية ومضوا عنه ونزلوا بأرض يقال ها حروراء في الكوفة.

وقالوا بأن من أذنب كبيرة فقد كفر.

وقد وردت أحاديث كثيرة في أوصاف الخوارج وأنهم شر الخلق والخليقة.

وانشق عنهم فرق كثيرة منها: الأزارقة، والاباضية، والعجاردة، والبهيسية وغيرهم.

قوله: **والقدرية.**

القدريَّة: هم الذين يقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالقَ فِعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه.

وهي من الفرق الكلامية من أول الفرق الإسلامية المخالفة وقد ظهرت في بداية عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وأول من أسسها غيلان القدري وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك بصلبه على أبواب الشام.

قوله: **والمرجئة:** سموا بالمرجئة لقولهم بالإرجاء.

وأصل الإرجاء التأخير، لأنهم يؤخرون العمل وهو الإقرار باللسان والعمل بالجوارح.

Сканировано с CamScanner

.....

وأجمعوا على أنه لا يدخل الجنة إلا الكفار فحسب.

وقد افترقت إلى فرق ومنها الجهمية، والكرامية والنجارية والحشوية.

قوله: **والمعتزلة**.

هي فرقة كلامية ظهرت في أواخر العصر الأموي بداية القرن الثاني الهجري في البصرة وازدهرت في العصر العباسي.

سموا بالمعتزلة لإعتزالهم الحق، وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، لأن الناس كانوا مختلفين في مرتكب الكبيرة.

وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري.

قوله: **والكرَّاميَّة**.

بتشديد الراء المهملة وتشديد الياء.

وهم من أصحاب أبو عبدالله محمد بن كرَّام بن عراق السجستاني، المشهور بابن كرام، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم وكان لا يقرأ ولا يكتب، بل كان يملي ذلك على أصحابه، افتراء من بنات أفكاره.

وهي من فرق المرجئة. الذين يعتقدون أن الإيمان قول باللسان فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص.

قوله: **كُلَّابِيَّة**.

الكلابية فرقة تنتسب إلى أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري. ولقب كلابا لأنه كان يجتذب الخصم إليه بقوته في المناظرة، كما يجتذب الكلاب الشيء إليه. وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمنه.

Сканировано с CamScanner

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

وكان نصرانيًا فأسلم وفارق قومه وكانت له اخت أكبر منه عالمة بدين النصرانية، لها عندهم قدر عظيم فهجرته حين أسلم وأبعدته من المحلة لأنها كانت راهبة النصارى يصدرون عن رأيها[١].

قوله: **ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.**

النظير: الشبيه.

أي أشباههم من أهل البدع والضلال.

أعاذنا الله: اعتصمنا بالله تعالى واليه التجأنا.

قوله: **وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم.**

والانتساب إلى إمام من أئمة المذاهب الأربعة، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم.

فليس بمحرم، فهو ليس كالانتساب لفرق البدع والضلال[٢]..

قوله: **فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.**

هناك فرق بين في الخلاف بين الأصول أي العقيدة، والخلاف في الفروع.

فالأول مذموم، والثاني محمود.

---

(١) البرهان في معرفة الأديان (٣٩).

(٢) وقد فصلت ذلك في كتابي (رفع الملام عن الدارسين لمذاهب الأئمة الاعلام).

Сканировано с CamScanner

.....

والتعليل في كون اختلاف الأمة في الفروع رحمة ومحمود:

هو عدم الزام الأمة قولًا واحدًا، وإلا فيشق عليهم ذلك.

وقد فقه الأئمة هذا المعنى كثير من الأئمة، كالإمام مالك مع ابي جعفر المنصور، عندما طلب من الخليفة أن يصنف كتابًا يكون مرجعًا للأمة من بعده.

فصنف الإمام مالك موطأه، وعرضه على الخليفة واستحسنه فأمر بنسخه وتوزيعه على الامصار وعدم مخالفته.

فهنا جاء كلام الإمام مالك رضي الله عنه: قد اختلف من هو خير منا وقصد بذلك الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا أمر ظاهر.

قوله: **واتفاقهم حجة قاطعة.**

فيه رد على من قال إذا كان اختلافهم رحمة، فهل اتفاقهم نقمة!.

ولا شك أن هذا الكلام لا يصدر إلا ممن جهل علم أصول الفقه، لأنه من المتقرر أن اتفاق العلماء على أمر شرعي هو حجة قاطعة.

والاتفاق اذا قيد بالحجة القاطعة فالمراد به الإجماع، لأن اتفاق الائمة الأربعة ليس بحجة اصوليًا.

وختم المصنف رحمه الله كتابه لمعة الاعتقاد بدعاء:

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

Сканировано с CamScanner

.....

اللهم اغفر وارحم شيخ الإسلام الموفق أبو محمد بن قدامة المقدسي واجعل كل ما صنفه في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب.

وتم شرح الكتاب من فضل الله تعالى ومنته، فله الحمد أولًا وأخيرًا، على ما وفق ويسر

وما كان من خطأ في هذا الكتاب فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من صواب فهو من الله تعالى وحده لا شريك له.

تم الانتهاء من الكتاب صبيحة

يوم الجمعة الموافق ١٦/ شوال/ ١٤٤٢

الموافق ٢٨/ ٥/ ٢٠٢١

وكتب

الفقير راجي رحمة ربه ومغفرته

فَارِسُ بنُ فَالِح المُوصِّلِيُ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ الحَنْبَلِي

نزيل تركيا

Сканировано с CamScanner

Сканировано с CamScanner

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
المقدمة الأولى: مذهب الحنابلة العقدي الأثري.....	٧
مبحث: بيان عقيدة الإمام أحمد.....	٧
مبحث: سبب تسمية من انتسب إلى الإمام أحمد بالحنبلي	٩
فصل في ذكر من انتسب لمعتقد الحنابلة من أصحاب المذاهب.....	١٢
المقدمة الثانية: مصنفات الحنابلة العقدية	١٥
المقدمة الثالثة: موقف الحنابلة من علم الكلام	١٧
المقدمة الرابعة: الخلاف العقدي بين علماء الحنابلة	٢١
الجواب: عن شبهة: أن المذهب الحنبلي اتجاهات مختلفة	٢٢
مصنف الكتاب.....	٢٧
التعريف بالكتاب.....	٣٣
كتاب اللمعة معتمد في التدريس عند الحنابلة.....	٣٤
معنى عنوان الكتاب	٣٤
شرح الكتاب.....	٣٧
شرح مقدمة المصنف	٣٩
قواعد تأصيلية في معرفة صفات الله تعالى	٥١
القاعدة الأولى: التسليم والقبول لصفات الله تعالى بدون تأويل أو تشبيه وتمثيل	٥١

Сканировано с CamScanner

الموضوع	الصفحة
حكم التشبيه عند الحنابلة	٥٤
القاعدة الثانية: ما اشكل من الصفات وجب اثباته لفظًا وترك الترك لمعناه...	٥٧
المعتمد عند الحنابلة: أن آيات الصفات من المتشابه	٦١
القاعدة الثالثة: رواية الإمام احمد: بلا كيف ولا معنى	٦٥
أقوال أئمة المذهب في صفة نزول الله تعالى	٦٩
القاعدة الرابعة: قول الإمام الشافعي: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسوله ﷺ وبما جاء عن رسوله ﷺ	٧٧
القاعدة الخامسة: الاتفاق على الإقرار والإمرار والإثبات مما ورد من الصفات..	٧٩
مناظرة الآذرمي لابن ابي دؤاد	٩٣
ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الصفات	٩٥
إثبات صفة الوجه لله تعالى	٩٦
إثبات صفة اليدين لله تعالى	٩٩
إثبات صفة النفس لله تعالى	١٠١
إثبات صفة المجيء والاتيان لله تعالى	١٠٣
إثبات صفة الرضا والمحبة والغضب والسخط لله تعالى	١٠٥
إثبات صفحة العجب لله تبارك وتعالى.....	١١٠
إثبات صفحة الضحك لله تبارك وتعالى.....	١١٢
إثبات صفة الاستواء والعلو	١١٥
معنى الاستواء.....	١١٥
ابطال قول من قال الاستواء استيلاء.....	١١٧

Сканировано с CamScanner

الموضوع	الصفحة
حديث الجارية	١٢١
إثبات صفة الكلام لله تعالى	١٢٥
القرآن كلام الله تعالى	١٣٢
إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	١٤٩
القضاء والقدر	١٥٤
خلق أفعال العباد.....	١٥٧
الإيمان قول وعمل.....	١٦٦
تعريف الإيمان عند الحنابلة	١٦٦
حكم تارك عمل الجوارح عند الحنابلة	١٦٩
الاستثناء في الايمان عند الحنابلة	١٦٩
الايمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ	١٧١
اثبات ان الاسراء كان بالجسد	١٧٣
الايمان بأشراط الساعة	١٧٥
اثبات عذاب القبر ونعيمه	١٧٨
بيان صفة الميزان	١٨٥
ما جاء في الصراط	١٨٦
اثبات الشفاعة للنبي ﷺ	١٨٨
اثبات الشفاعة للأنبياء	١٨٩
شروط الشفاعة	١٩٠
اثبات أن الجنة والنار مخلوقان لا يفنيان	١٩٢
اثبات أن النبي ﷺ خاتم النبيين	١٩٥

Сканировано с CamScanner

الموضوع	الصفحة
الشهادة بالجنة للعشرة المبشرة	٢٠٦
لا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار	٢٠٨
لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب	٢٠٩
موالاة أصحاب النبي ﷺ ومحبتهم والترضي عليهم	٢١٠
حكم من سب الصحابة	٢١٣
الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ	٢١٤
السمع والطاعة لأئمة المسلمين	٢١٥
التفريق بين الإنكار وبين الخروج عن الحكام	٢١٧
حكم هجران أهل البدع	٢١٨
حكم النظر في كتب المبتدعة	٢٢٠
تحريم الانتساب للفِرَقِ المبتدعة	٢٢١
الرافضة	٢٢١-٢٢٢
الجهمية والخوارج	٢٢٢-٢٢٣
القدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية	٢٢٣-٢٢٤
الكلابية	٢٢٤
جواز الانتساب لمذهب من المذاهب الأربعة	٢٢٥
فهرس الموضوعات	٢٢٩

Сканировано с CamScanner

يعتبر هذا الكتاب، أول شرح وضع وفق مراد المصنف، وعلى معتقد الإمام أحمد والسلف الصالح رضي عنهم أجمعين.

وتميز عن باقي الشروح المعاصرة، بأن كل مسألة وردت كان فيها مستندًا من نصوص الإمام أحمد رضي الله عنه.

واتصف بنقل أقوال علماء المذهب ونصوصهم في بيان وتقرير معتقد الحنابلة المعتمد، وأنهم على طريقة واحدة هي طريقة الإمام وتضمن أجوبة عن مسائل نسبت للمذهب وهي ليست منه.

دار النور المبين للنشر والتوزيع

عمان - الأردن - تلفاكس: 00962795394309

darannor@gmail.com www.darannor.com

/darannorpage @Darannor

Сканировано с CamScanner